الأيام الأولى للحملة الفرنسية على مصر

رسائل لقادتها

ترجمة وتعليق

السفير/ يوسف شرارة

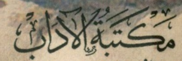
الرسائل الأصلية طبعها

J.Weight

Oldbind-1798-London-Piccadilley



42 Opera Square - Cairo Tel:(202) 23900868



٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

الأيام الأولى

للحملة الفرنسية على مصر

رسائل لقادتها

ترجمة وتعليق

السفير / يوسف شرارة

على

الرسائل الأصلية

طبعها

J.WRIGHT

أمام شارع OLDBOND

١٧٩٨ - LONDON -PICCADILLEY

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا ـ القاهرة. ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail: adabook@hotmail.com



الناشر

مكتبة الآداب

علي حسن

الطبعة الأولى : ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الأيام الأولى للحملة الفرنسية على مصر:

رسائل لقادتها/ ترجمة وتعليق يوسف شرارة.-

ط١.- القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠١١.

ص ؛ سم.

تدمك ٥ ٣٨٩ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - مصر - تاريخ - الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١م)

أ - شرارة ، يوسف (مترجم ، معلق)

٩٦٢,٠٢

عنوان الكتـــاب: الأيام الأولى للحملة الفرنسية

تاليـــــف: يوسف شرارة

رقم الإيـــداع: ١٩٥٥٩ لسنة ٢٠١١م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 — 977 — 468 - 389 — 5

مكتبة الآداب

علي حسن

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)—

e-mail: adabook@hotmail. com

الفهرس

الموضـوع	الصفحة
الفهرس	٣
مقدمة	٩
ملاحظات على المقدمة	١٣
صور من مصادر مختلفة خارج الكتاب المترجم...........	١٥
الرسائل	٣٣
الخطاب الأول	٣٥
ملاحظات على الخطاب الأول	٤٠
الخطاب الثاني	٤٤
ملاحظات على الخطاب الثاني	٥١
الخطاب الثالث	٥٢
ملاحظات على الخطاب الثالث	٥٧
الخطاب الرابع	٥٩
ملاحظات على الخطاب الرابع	٦٤
الخطاب الخامس	٦٦
ملاحظات على الخطاب الخامس	٦٩

الخطاب السادس ٧٠
ملاحظات على الخطاب السادس ٧٢
الخطاب السابع ٧٣
ملاحظات على الخطاب السابع ٧٤
الخطاب الثامن ٧٥
ملاحظات على الخطاب الثامن ٧٧
الخطاب التاسع ٧٨
ملاحظات على الخطاب التاسع ٨١
الخطاب العاشر ٨٣
ملاحظات على الخطاب العاشر ٨٦
الخطاب الحادي عشر ٨٧
ملاحظات على الخطاب الحادي عشر ٩١
الخطاب الثاني عشر ٩٣
ملاحظات على الخطاب الثاني عشر ٩٨
الخطاب الثالث عشر ٩٩
ملاحظات على الخطاب الثالث عشر ١٠١
الخطاب الرابع عشر ١٠٢
ملاحظات على الخطاب الرابع عشر ١٠٣

الخطاب الخامس عشر ١٠٥
ملاحظات على الخطاب الخامس عشر ١٠٨
الخطاب السادس عشر ١٠٩
ملاحظات على الخطاب السادس عشر ١١٢
الخطاب السابع عشر ١١٣
ملاحظات على الخطاب السابع عشر ١١٦
الخطاب الثامن عشر ١١٧
ملاحظات على الخطاب الثامن عشر ١٢٠
الخطاب التاسع عشر ١٢١
ملاحظات على الخطاب التاسع عشر ١٢٤
الخطاب العشرون ١٢٥
ملاحظات على الخطاب العشرين ١٢٨
الخطاب الحادي والعشرون ١٢٩
ملاحظات على الخطاب الحادي والعشرين ١٣٢
الخطاب الثاني والعشرون ١٣٣
ملاحظات على الخطاب الثاني والعشرين ١٤٩
الخطاب الثالث والعشرون ١٥٢
ملاحظات على الخطاب الثالث والعشرين ١٥٥

الخطاب الرابع والعشرون ١٥٦
ملاحظات على الخطاب الرابع والعشرين ١٥٩
الخطاب الخامس والعشرون ١٦٠
ملاحظات على الخطاب الخامس والعشرين ١٦١
الخطاب السادس والعشرون ١٦٢
ملاحظات على الخطاب السادس والعشرين ١٦٦
الخطاب السابع والعشرون ١٦٨
ملاحظات على الخطاب السابع والعشرين ١٧٠
الخطاب الثامن والعشرون ١٧١
ملاحظات على الخطاب الثامن والعشرين ١٧٥
الخطاب التاسع والعشرون ١٧٦
ملاحظات على الخطاب التاسع والعشرين ١٧٨
الخطاب الثلاثون ١٧٩
ملاحظات على الخطاب الثلاثون ١٨٦
الخطاب الحادي والثلاثون ١٨٧
ملاحظات على الخطاب الحادي والثلاثين ١٩٣
الخطاب الثاني والثلاثون ١٩٥
ملاحظات على الخطاب الثاني والثلاثين ٢٠١

المرفقات ٢٠٥
المرفق رقم ١ ـ السيرة الذاتية للسفير يوسف شرارة ٢٠٧
المرفق رقم ٢ ـ إعلان الحماية على مصر ٢١٠
المرفق رقم ٣ ـ جدول الخطابات المنشورة بالكتاب ٢١٥
المرفق رقم ٤ ـ نبذة عن عائلة بونابارت ٢٢٠
المرفق رقم ٥ ـ التقويم الذي وضعته الثورة الفرنسية .. ٢٢٤
المرفق رقم ٦ ـ إعلان بونابارت لدى نزوله بالأراضي المصرية ٢٢٦
المرفق رقم ٧ ـ المرسوم الذي أصدرته الدركتوار (حكومة الثورة التنفيذية) بتعليماتها إلى نابليون بونابارت للقيام بالحملة على مصر ٢٣٠
المرفق رقم ٨ ـ الملاحق العشرة في نهاية الكتاب ٢٣٢
مراجع عربية ٢٥١
مراجع فرنسية ٢٥٤
مراجع إنجليزية عن الحملة ٢٥٦
مراجع إنجليزية عن مصر ٢٥٧
مراجع مواقع الكمبيوتر ٢٦١

مقدمة

عندما كُلفت بخدمة بلادي كسفير لها في المملكة المتحدة ١٩٨٤م، لاحظت أن عددًا من المسئولين ينظر إليَّ على أساس أنني أول سفير لمصر في لندن ذي خلفية دبلوماسية بحتة، وليس له أي ماض عسكري، كما كان عليه الحال منذ أوائل الخمسينات[١].

لقد كان في ملاحظتي هذه سببٌ آخر لكي أهتم وأتوجه نحو البحث والتدقيق في تاريخ وتطورات العلاقات المصرية الإنجليزية، والعناية بوجه خاص بمفاهيم وتصورات الأفراد الإنجليز وتقديراتهم لهذه العلاقات.

من المعروف أن لهذه العلاقات - من وجهة القانون الدولي - وضع فريد؛ احتلال غاصب بحجة حماية مصر وسكانها[٢]. وعلى ذلك فمصر لم تكن أبدًا مستعمرة بريطانية كباقي الدول التي يتكون منها اليوم ما يعرف بالكومنولث.

لقد استمر هذا الاحتلال الغاشم، وما ترتب عليه من بلاء، واستمرت المفاوضات والمقاومة له حتى أواخر القرن العشرين. تاريخ حافل وعلاقات سياسية معقدة.

يوجد في لندن العديد من المكتبات التي تزخر بالكتب القديمة.

وهي تذكرني بمكتبات سور حديقة الأزبكية في زمن مضى وولّى، كانت معروضة لقراءة الجميع بأسعار زهيدة.

قررت أن أتجول في هذه المكتبات- كلما سمح وقتي بذلك- أشغل ذهني بما هو بعيد عن المشكلات الواقعة والمتوقعة، بالإضافة إلى المشي ساعة أو أكثر كرياضة بسيطة، مركّزًا انتباهي على ما يتعلق منها بمصرنا بالذات..

استلفت نظري العددُ المهول من الكتابات عن مصر. كتبها مسئولون أو أفراد ممن زاروها أو أقاموا بها لفترة. ولاحظتُ أنه بالإضافة للكثير الخاص بالتاريخ المبهر لقدماء المصريين، فقد كتب العديد منهم وصفًا دقيقًا لمجتمعات لدينا وعادات وتقاليد نتبعها بتفاصيل مذهلة، مضيفين انطباعاتهم الخاصة وتحليلاتهم وتعليقاتهم الشخصية، التي يتضح منها شغفهم وإعجابهم ببلدنا الفريد، وانبهارهم بعراقتها مع الإشارة الواضحة إلى ما يعانيه أهلها من كرب وبلاء وطغيان، وتحمل شعبها لكل ذلك بصبر عجيب.

وسط هذا الخضم من الكتب القديمة عن مصر سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا والحضارة المصرية القديمة، استلفت نظري كتابٌ عنوانه «نسخ من الخطابات الأصلية لجيش نابليون في مصر». وقد طُبع الكتاب في عام ١٧٩٨م، أي في نفس عام وصول الحملة الفرنسية لمصر. وواضح أن المسئول عنه وزارة

البحرية الإنجليزية في ذلك الوقت. ويحتوى الكتاب على اثنين وثلاثين خطابًا وعددٍ من المستندات التي لا تُعَدُّ خطابات[٣].

ويبدو أن البحرية الإنجليزية استحسنت إصدار هذا الكتاب، فتابعت بعد ذلك نشر مثل هذه الرسائل، وخاصة ما تعلق منها بالعلاقات الغرامية لزوجة نابليون جوزفين.

وقد لاحظتُ أن ترجمة النصوص الفرنسية إلى الإنجليزية في هذا الكتاب، لم تكن دقيقة، كما أنها لم تخلُ من التفكير والأسلوب العنصري المتحيز، علاوة على ما أضيف من تعليقات تهاجم كل ما لا يروق للمترجم الإنجليزي وما يتعلق بالفرنسيين عامة، وثورتهم، ونابليون شخصيًا، بصياغات تقترب كثيرًا من السباب.

لقد قمت بترجمة هذه الرسائل عن قناعة بأنها تبين بشكل دقيق، جزءًا هامًا من تاريخنا، والأوضاع التي شاهدها وعايشها الجيش الفرنسي في الأيام الأولى من وصوله إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت في إحدى أهم مغامرات الثورة الفرنسية.

ورغم أن عدد الرسائل قليل، وأن بعضها تكرارًا لبعضها، أو غير هام، إلا أنها تلقى الضوء على مدى تأثر كل من مصر وفرنسا بهذا الحدث وما نتج عنه رغم فشل الحملة في تحقيق أهدافها، وأنها لم تستمر إلا لحوالي ثلاث سنوات، كما سيتبين لنا من مطالعة تلك الرسائل مدى التغيرات التي حدثت أو لم تحدث منذ تلك الأيام

وعلاقتها بما هو قائم الآن.

كما رأيت أن الأمر قد يحتاج مني إلى بعض التعليقات أو الإشارات، لتوضيح بعض الأمور والمفاهيم التي درج البعض على اعتبارها حقائق يتم ترديدها رغم عدم صحتها.

وهنا يحضرني قول لنابليون «إن التاريخ يكتبه المنتصر»

أملى أن يكون في كتابي هذا ما هو جديد ومفيد.

أغسطس ٢٠١١م

رمضان ١٤٣٢هـ

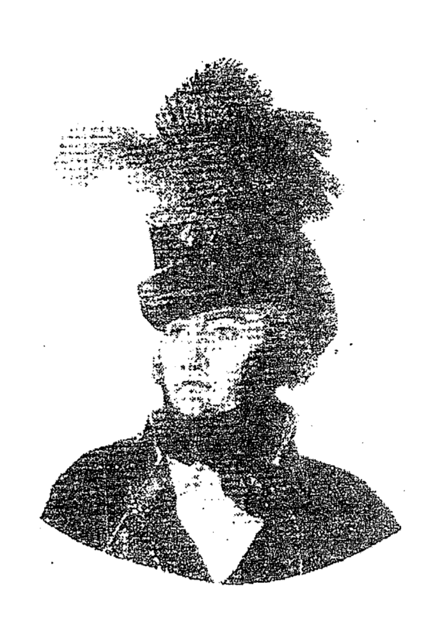
يوسف شرارة

ملاحظات على المقدمة

(١) بالمرفق (أولاً) مختصر لسيرتي الذاتية

(٢) بالمرفق (ثانيًا) «إعلان الحماية على مصر»، مأخوذ من الجزء الأول من كتاب Egypt since Cromer تأليف Lord Lloyd صفحات ٣٧٦- ٣٧٩.

(٣) بالمرفق (ثالثًا) جدول وضعته لهذه الخطابات يبين تاريخ إرسالها ومرسلها والمرسلة إليه، وأولها بتاريخ ٦ يوليو ١٧٩٨م؛ أي بعد خمسة أيام من وصول الحملة، وآخرها بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٧٩٨م.



القائد الفرنسي (كليبر KLEBER)

حاكم الإسكندرية وقائد الحملة بعد سفر نابليون لفرنسا



جنو JUNOT

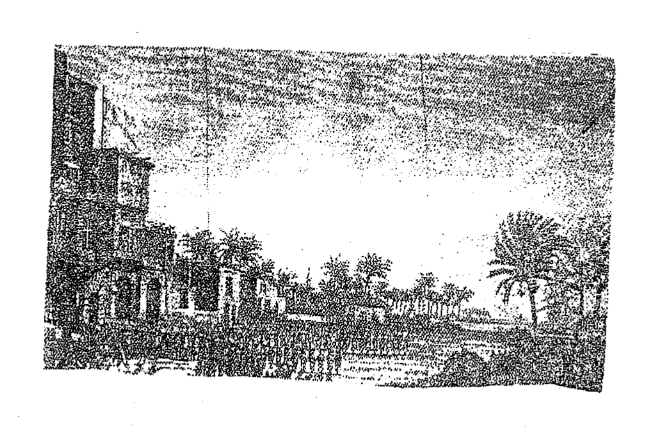


أوجين دو بوهرناس EUGENE DE BEAUHARNAIS



مُراد MURAT

من الشخصيات الهامة في الثورة الفرنسية



رشيد ـ كما رسمها فنان الحملة فيفانت دينو.



براس BARAS من أهم شخصيات الثورة والمسيطر على الدركتوار



نابليون في معركة إمبابا، والتي سماها معركة الأهرامات...
وتبدو الأهرامات عن بُعد



الشيخ (السادات) كما جاءت صورته في كتاب الحملة «وصف مصر»



المملوك (مراد بك) ـ كما جاء في كتاب الحملة «وصف مصر»

COPIES

OF

ORIGINAL LETTERS

FROM THE ARMY OF

GENERAL BONAPARTE

IN

EGYPT,

INTERCEPTED

BY THE FLEET

UNDER THE COMMAND OF

ADMIRAL LORD NELSON

WITH AN

ENGLISH TRANSLATION.

LONDON:

PRINTED FOR J. WRIGHT, OPPOSITE OLD BOND STREET, PICCADILLY.

1798.

[Entered at Stationers' Hall.]

الخطابات

الخطاب الأول

من لويس بونابرت إلى أخيه جوزيف بونابرت[1]

الإسكندرية في ١٨ مسيدور العام السادس من الثورة[2]

إلى المواطن جوزيف بونابرت ـ عضو مجلس الخمسمائة

شارع سانت بيريه Saint Pere رقم ١٢١٩

فوبور جرمين Fauxbourg Germain باريس

نحن في هذه المدينة يا أخي العزيز منذ الرابع عشر من هذا الشهر، والتي تم اقتحامها والاستيلاء عليها. سوف أفصل لك عملياتنا دون تعليقات. هذه هي الأمور التي تمكنت من متابعتها.

في فجر يوم ١٣ لاحت لنا سواحل أفريقيا، وأشارت مقدمتنا إلى المدينة. وفي الحال توجهنا إلى مشارف جزر العرب ـ على بعد فرسخين من الإسكندرية. ولحقت بنا الفرقاطة Junon التي كانت قد رست على الشاطئ لاستدعاء القنصل الفرنسي من هذه المدينة.

قام القنصل الفرنسي بإبلاغنا بأن الأسطول الإنجليزي المكون من ١٤ سفينة حربية ـ منهم اثنتان من ذوات الثلاث طوابق ـ قد مرَّ على الإسكندرية وقام بإرسال خطابات للقنصل الإنجليزي، وأخطر التجار بنبأ استيلائنا على مالطة.

وكان هذا الأسطول قد توجه إلى الإسكندرية تحسبًا ـ دون شك ـ

بأننا رسونا بها، في اتجاهنا إلى الهند عن طريق Bassora.

هذا الأسطول سبق أن تم رصده بواسطة سفينتنا Justice لدى مغادرتنا لمالطة، وكان من الحماقة أن لا يجدنا، مما جعل الإنجليز غاضبين محبطين[٣] لقد استلزم الأمر جرأة وجسارة متناهية، وحظًا وتوفيقًا لكي يغفل أسطول عن قوة من قافلة مكونة من ٤٠٠ سفينة حربية، ويتمكن من الاستيلاء على مالطة بالقوة أو بالتفاوض.

حتى الآن كنت أعتقد أن الحظ ممكن أن يفارق أخي، واليوم أعتقد أنه سوف ينجح دائمًا إذا ما حافظت القوات على قليل من النخوة الوطنية والتي تثيرهم بشكل كبير[٤].

المماليك يعلمون منذ ثلاثة أسابيع - عن طريق سفن بضائع تجارية - تفاصيل إبحارنا من مرسيليا. وعند رؤيتهم للإنجليز، اعتقدوا أنه أسطولنا، مما أدى إلى أنهم عند ظهورنا بالفعل في الثالث عشر كانوا مستعدين للقائنا.

كان البحر عاصفًا ذلك اليوم، ولم يرغب القادة البحريون أن يتم إنزال الجنود، ورستْ المراكب على بعد فرسخين على الأكثر من الساحل، ومضى اليوم في استعدادات. ولكن أخيرًا في الساعة الحادية عشر مساءً تم الإنزال بزوارق صغيرة وسط رياح وبحر عاصف[٥].

سرنا طوال اليوم بألفين من المشاة، وفجر اليوم التالي حاصرنا الإسكندرية، بعد عدة مطاردات من الخيَّالة والفرسان.

لقد دافع العدو ببسالة. كانت المدفعية التي لديهم على الأبراج سيئة وضعيفة الفائدة، لكن الفرسان كانوا ممتازين. هؤلاء قوم لا يعرفون الوجل أو التردد؛ فهم إما يَمنحون الموت، أو يتلقونه وهم فوق جيادهم.

كان أول هجوم على مدينة العرب. وقد تم تدميرها بعد الهجوم الثاني رغم حرائق المنازل، أما القلاع الموجودة على الجانب الآخر للساحل فقد هوجمت واستسلمت في المساء.

منذ الرابع عشر ونحن مشغولون بإنزال القوات والمعدات العسكرية والمهمات.

الجنرال Desaix على النيل في دمنهور، وسوف يلحق به آخرون.

مكان إنزال قواتنا على بعد فرسخين من هنا في محيط Marabout أو جزر العرب. أعتقد أننا فقدنا مائة قتيل ومثلهم من الجرحى. ولقد جرح كل من الجنرالات Kleber, Menou, Lescalle.[٦].

أرسل إليك الإعلان الموجه لسكان البلاد، وثلاثة أوامر موجهة للجيش كان لها تأثير بالغ[٧].

البدو أعوان المماليك هم في حقيقة الأمر لصوص متهورون. بمجرد أن قبضوا المال ، قاموا برد حوالي ثلاثين من الأسرى، وعرضوا علينا محاربة المماليك معنا؛ لقد أحسنّا معاملتهم.

هؤلاء قوم لا يسهل إجبارهم، يعيشون في صحراء حارة حارقة،

يمتطون أخف جياد العالم، وفى غاية البسالة والإقدام. هم يسكنون مع زوجاته وأطفالهم في خيام متنقلة، والتي يتم تغيير موقعها كل مساء. إنهم متوحشون فُظاع، ويعرفون في نفس الوقت النقود، ويكفى القليل منها لإثارة إعجابهم. هم يحبون الذهب - يا أخي العزيز - ويقضون حياتهم في انتزاعه من الذي يقع من الأوربيين بين أيديهم، وليس لديهم أي غرض سوى الاستمرار في هذا النوع من الحياة وتلقينها لأبنائهم[٨].

آه؛ لجان جاك الذي لم تتح له فرصة رؤيتهم، لو رآهم لكان سماهم «رجال الطبيعة» ولارتجف خجلاً متعجبًا أنه قد أعجب بهم[٩].

وداعًا أخي العزيز، وافيني بأخبارك.

لقد عانيتُ الكثير أثناء العبور. هذا الجو يرهقني ويغيرنا كلنا[١٠] عند عودتنا سوف نستعرض المتاعب. أنا مريض لحد ما، ومجبر على البقاء هنا. الجميع يغادرون باكر. وداعًا وأقبلك من كل قلبي. اذكرني لدى جوليا Julia وكارولين Caroline والآخرين، وإلى المشرع لوسيان Lucien رحلته معنا كانت ستكون مفيدة[١١].

لقد شاهدنا فى يومين أكثر مما يراه المسافر العادي في عامين. من الملفت للنظر هنا عمود بومبي[١٢] والمسلات، والمعابد السردابيه Catacombs وعدد من الجوامع والكنائس، ولكن الأكثر أهمية من هذا كله هي شخصيات وطباع وسلوك المواطنين؛ إنهم من ذوى

الدم البارد بشكل مذهل، لا شيء يثيرهم، الموت بالنسبة لهم مثل سفر الإنجليز لأمريكا. مظهرهم الخارجي وقور. سماتهم الفسيولوجية بالمقارنة بأكثر سماتنا ميزة، نحن نعتبر أطفالاً بالنسبة لهم. لديهم تنوعات مختلفة أكثر منا بشكل مذهل(١٣)، ونساؤهم بصفة خاصة، يلتحفن بملائة تحيط بهم وتغطى الرأس حتى الحواجب. وملاءة النساء البسطاء تغطى الرؤية من الأمام ولا تترك سوى فتحة للعينين. وأي انحراف بالملاءة يثير لديهن الانزعاج. أما قلاعهم ومدفعيتهم فمتهالكة بشكل سخيف مثير للسخرية، سواء أكانت في تشكيلة متراصة أو كانت متفرقة. في النهاية هم ما زالوا عميانًا يعيشون في العصور البدائية.

آه، كم من أعداء البشرية يمكن هدايتهم - إذا حالفهم الحظ - في وسط الصحارى العربية.

أستودعك أخي العزيز. مشاعري كلها لك

L.Bonaparte

حاشية

أرجو أخي العزيز إبلاغ أخباري إلى المواطنة Coupry مضيفتي السابقة العجوز في شارع Saint Honore رقم ٢٧ بقرب ممر Feullans وإبلاغها بأنني لم يكن لديَّ الوقت للكتابة لها وأنني أستعيد ذكرياتها.

ملاحظات على الخطاب الأول :

(١) بالمرفق (رابعًا) نبذة مختصرة عن عائلة نابليون بونابرت.

(٢) هذا التاريخ يقابل ٦ يوليو ١٧٩٨. وبالمرفق (خامسًا) جدول بالتقويم الذي وضعته الثورة الفرنسية. وبمتابعتنا للحوادث المختلفة للحملة الفرنسية على مصر، والتأريخ لها، نواجه بالتقويم الجريجوي للكتاب الأوربيين وتقويم الثورة هذا، بالإضافة إلى التقويم الهجري.

(٣) من المثالب التي أخذها كبار قادة البحرية الإنجليزية على الأدميرال هورشيو نيلسون:-

أ- كيف تمكن بونابرت من الإبحار بنحو ٤٠٠ سفينة من فرنسا دون أن يرصد ذلك؟!

ب- أين كان نيلسون عندما استولى بونابرت على مالطة؟!

(٤) نلاحظ هنا أن لويس بونابرت يصرح لأخيه بما يدل على أنه لا يعترف بقدرات وعبقرية أخيهم نابليون العسكرية والإدارية، ويرجع نجاحاته وانتصاراته فى إيطاليا وغيرها، إلى الحظ أو حماس الجنود. وسبق في ٢٤ يونيه ١٧٩٢ أن كتب لوسيان بونابرت إلى أخيه جوزيف بونابرت خطابًا جاء فيه «كنت دائمًا ألاحظ نزاعًا داخل نابليون بين الطموح - وليس بالضرورة حب الذات - ولكنه يفوق عنده حب الصالح العام. وأتصور عن حق أنه، في دولة حرة،

فإن مثله يكون شخصًا خطيرًا».

(٥) يتضح هنا - كما سيتضح من خطابات أخرى - الحساسيات والندِّية بين رجال البحرية الفرنسيين والقادة العسكريين. ولولا إصرار نابليون على ضرورة إنزال القوات فورًا لتم الانتظار لصباح اليوم التالي.

(٦) خطاب نابليون للشعب المصري يوجد بالمرفق (سادسًا)، وقد وردت عدة ترجمات لهذا الخطاب الذي جاء باللغة العربية ترجمة عن الفرنسية، والخلافات في النصوص غير هامة ولا تتعرض بشكل كبير للمفاهيم المقصودة. ونلاحظ أن الخطاب يتمشى بوضوح مع الأمر الصادر من الدِركتوار (المجلس الحاكم) في باريس والموجه إلى نابليون للقيام بالحملة على مصر. المرفق (السابع)، ومعروف أن نابليون نفسه قد اشترك في صياغة هذا الأمر.

(٧).أوامر نابليون هذه جاءت ضمن عشرة مكاتبات ملحقة بهذا الكتاب دون أصلها الفرنسي (المرفق ثمانية).

(٨) كان على نابليون مواجهة العثمانيين والإنجليز والدول المعادية لفرنسا وثورتها في خارج مصر. كذلك العربان والمماليك ورجال الدين والمشايخ وكبار التجار وجواسيس الدركتوار في جيشه والقادة المتذمرين وأسطول يرغب في العودة لفرنسا. وقد ركز بذكاء

على المشايخ ورجال الدين واستمالتهم إليه بوسائل مختلفة بعد أن تبين له خضوع أغلب الشعب المصري عن رضا لهؤلاء.

(٩) المقصود هو الفيلسوف الفرنسي جان جاك رسو والذي يُعرف بصفة عامة لتأليفه كتاب (العقد الاجتماعى). ونعتقد أن الإشارة إليه في هذا المجال ترجع ربما لما أثارته رسالته «أحاديث عن الفنون والعلوم» Discours sur les arts et sciences والتي حصل بسببها على جائزة أكاديمية Dijon عن أحسن رسالة تكتب في موضوع «تأثير تقدم المدنية على الأخلاق» وكان ذلك السبب الأول لشهرته. وكان أبرز ما جاء في رسالته هذه هو تركيزه على أن الأوضاع البدائية تفوق في أهميتها على غيرها كنظام للحكم.

نضيف إلى ذلك أن آراء جان جاك روسو فى عدد كبير من الأمور، والتي كانت بمثابة أيديولوجيا للثورة الفرنسية والمتحمسين لها وخاصة روبسبير الذي كان شديد التمسك بها.

ونلاحظ هنا أمرًا هامًّا للغاية. وهو النظرة المتعالية والتقليل من شأن الآخرين، وأن الغرض من غزوهم هو تحسين أوضاعهم. ونتساءل كيف تسنى له أن يحكم على المصريين بعد أربعة أيام فقط من وجوده في الإسكندرية ولم ير باقي مصر حتى يصدر أحكامه الاستعمارية.

(١٠) ألاحظ هنا أن نابليون القائد الماهر ، والقارئ واسع

الاطلاع لا يعطى للمناخ والجو أية أهمية في مخططاته. فهو يهاجم مصر في صيفها القائظ. كما سيفعل نفس الشيء ويهاجم روسيا في شتائها القارس.

(١١) نراه هنا يُعنَى بالسؤال عن كل من أخيه لوسيان وأخته كارولين بالذات، وقد اشتهر كلاهما في باريس بالمجون والخلاعة، مما يسبب الحرج لنابليون؛ إذ قامت الأخت كارولين بالاضطجاع عارية تمامًا على أريكة أمام المثال الشهير «كتوفا» لموديل يمثل فينوس. وعندما واجهوها بسؤالها: كيف استطاعت أن تفعل ذلك وأن تتعرى بهذا الشكل؟ أجابت: لم يكن لديَّ أية مشكلة فقد كان استوديو المثال مدفئًا.

(١٢) عمود بومبي هو عمود الصواري المعروف في الإسكندرية. وكان لويس الرابع عشر يفكر جديًا في نقله إلى باريس. أما نابليون فقد أمر بحفر أسماء شهداء الفرنسيين في معركة الإسكندرية على قاعدة العمود.

(١٣) من الواضح أن هذه الملاحظات جنسية.

الخطاب الثاني

السفينة L'orient

من مرفأ أبو قير ٢٠ ميسادور العام السادس

من جوبير Jaubert إلى أخيه[١]

ها نحن عزيزي جوبير على شواطئ مصر. شجعاننا البواسل استولوا على أرضها. وفورًا وقبل مرور وقت طويل سوف تحل - مكان المماليك قصار النظر المستبدين بالإضافة إلى تبلد وعدم مبالاة المصريين - حكومةٌ مبدعة وروح غير معروفة حتى الآن للسكان هنا.

نحن أسياد الإسكندرية. احتلت قواتنا في طريقها أبا قير واستولينا على رشيد. وبناءً على ذلك أصبح تحت سيطرتنا أحد أهم مصابّ النيل. أعتقد أمام نظرك خريطة ورحلة Savary أو غيرها.

فى ١٣ ميسادور في الساعة السادسة صباحًا كنا على بعد ٦ فراسخ من الإسكندرية. وصدرت أوامر للفرقاطة La Junon للتوجه إلى مدخل الميناء، ظاهرُ ذلك تسليم خطاب للقنصل الفرنسي، وباطن ذلك إحضار القنصل وكافة الفرنسيين المتواجدين في المدينة.

لقد كانت الأمور مشتعلةً فيها منذ شهرين. يتحدثون فيها عن رسوٍّ ونزول الفرنسيين، واتخاذ الإجراءات الدفاعية [على النمط التركي] وعن الأسطول الإنجليزي المكون من ١٤ سفينة، وظهوره

في العاشر من الشهر، والذي أكد فيه حاكم الإسكندرية أنه فرنسي. مما ضاعف من مخاوف المدينة وجعل موقف السكان الفرنسيين في حرج متزايد.

ولقد استغرق القنصل ثلاث ساعات لاعتلاء السفينة Junon والتي أوصلته إلى الأوريانت[٢] L'orient، ولقد شعرنا بالحاجة إلى التصرف الفوري سواء لكي نؤمّن الإسكندرية من الإنجليز، أو لكي نضع أسطولنا في وضع يحميه في ظروف غير متكافئة وفي حالة رسو وإنزال في مرفأ غير مألوف لنا.

لقد أصاب الأسطول البريطاني الشؤم. فقد فاته رؤيتنا عند سردينيا، وفاته أيضًا قافلة من Eivita Vecchia مكونة من ٥٧ سفينة حربية تحمل ٧٠٠٠ فردًا من إيطاليا. ولم يصل أمام مالطة إلا بعد خمسة أيام من مغادرتنا هذه الجزيرة. ووصل أمام الإسكندرية مبكرًا بيومين قبلنا لكي يلقانا. من المفترض أنه وصل الإسكندرية معتقدًا بأنها يجب أن تكون أثناء عملية إنزالنا بغرض الاتجاه لغزو الهند، سوف نقابله في نهاية الأمر.

لقد رسونا بشكل يمكننا من مواجهة أسطول ضعف أسطولنا.

هكذا كان وضعنا الحساس الذي وجدنا فيه أنفسنا صباح ١٣. وبرغم إنزالنا السريع، كان من الممكن أن نفاجأ بالإنجليز أثناء عملياتنا، وقرب الساعة الرابعة مساءً، توجه القائد العام وأركان

حربه إلى سطح السفينة التي كانت محاطة بعدد من زوارق وقوارب السفن الحربية التي انفصلت عنا لعمليات الإنزال، وفى صباح الرابع عشر تمت عمليات الرسو والإنـزال إلى القلعـة المسماة Le Marabu على بعد فرسخين غرب الإسكندرية.

لا مقاومة إطلاقًا، ولا مدافع لمملوك، ثم توجهت القوات في كتائب نحو المدينة. الجرارات التي تباعدت هوجمت بجماعتين من العربان وعدد من المماليك يكرّون ويفرّون هنا وهناك.

كان هنالك التحامان بالذات فقدنا فيهما عددًا من الأفراد.

بالوصول إلى المدينة واجه شجعاننا المقاومة. مدافع من عيار ٣ وعيار ٤، [لم يكن لدينا مدفعية حتى ذلك الوقت] وبنادق صغيرة، وحجارة، كلها تعلن الإصرار على الدفاع.

جُرح الجنرال كليبر في رأسه، والجنرال مينو في عدة أماكن. ولكن في الساعة الحادية عشر أصبحنا أسياد الإسكندرية. المناوشون المدافعون من الشرفات كانوا مذعورين. إما اختبأوا أو قُتلوا.

المماليك وعدد كبير من العربان هربوا ولجأوا إلى الصحراء. مَن بقي من السكان كانوا في دهشة كبيرة لأننا لم نقطع رقابهم. تركناهم في ذهول مع إعلان القائد العام والذي تم طبعه باللغة العربية. بالتأكيد سوف تقرأه في الأوراق الرسمية(٣).

هذا الإعلان أدى إلى أمرين ملفتين للنظر، ففي عشية أمس كنا

قد أمسكنا بعدد من الأتراك والعرب واحتجزناهم على ظهر السفينة. كان الهدف هو تهدئة مخاوفهم وتحويلهم إلى توابع لنا. وقد أمرنا قسيسًا مارونيًا من دمشق - مسيحى مثلنا[٤] - وكلفناه بأن يقرأه عليهم، وأن يدلي بتعليقات قليلة. وعندما تطّلع على هذا الإعلان ستحكم على الدور الذي أُسند إليه.

يوم الإنزال، تواجد مساعدُ أمير البحر التركى بميناء الإسكندرية بالسفينة الضخمة Caravell التابعة للباب العالى وهو مكلف بجمع جزية الجيش. وقد أرسل قبطانه إلى الأوريون بهدية من خروفين مع طلب معلومات عن أهداف الجيش البحري. فأعطيناه إعلانًا لقراءته. فاعتذر لعدم معرفته باللغة العربية. فقرأناه عليه[٥]. كل فقرة من الإعلان تعلقت بوقاحة المماليك كانت تجعله يقفز فرحًا، وطلب عدة نسخ من الإعلان لتوزيعها، مؤكدًا أن مساعد أمير البحر الممثل للباب العالي سوف يصدر أمرًا عامًا بالترحيب بالفرنسيين. في النهاية عاد راضيًا تمامًا بعد تناول القهوة وأكل بعض الحلوى.

الأسطول ما زال في الميناء وأعلامه مرفوعة.

في السادس عشر نزلتُ إلى الإسكندرية مع الأدميرال. من بقي فيها من السكان وعرب الريف، بدا على أنه قد هُدئ روعه وأصبحوا أكثر اطمئنانًا. وشوهد في البازار - السوق -[٦] الخراف، الحمام، الطباق للتدخين وبصفة خاصة عدد من الحلاقين الذين

وضعوا رؤوس زبائنهم بين ركبتيهم مما بدى وكأنهم سيجزُّون رؤوسهم ويقطعونها لا أنهم سيحلقون لهم. ومع هذا فأيديهم حازمة وخفيفة، ورأيت أيضًا عددًا من النساء ملتحفات بأردية طويلة تخفي تمامًا كسمهن وهيئتهن ولا تترك مكشوفًا غير عيونهن مما يماثل تقريبًا ملابس التوّابين في مقاطعاتنا بجنوب فرنسا[٧].

هذه المدينة التي يقال إنه يسكنها عشرة آلاف شخص، ليس لها من الإسكندرية القديمة سوى الاسم ويسميها العربان «سكندرية»، تراثها القديم يوضح أنها كانت قوة عظيمة وأنها كانت تحتوى على ثلاث مائة ألف شخص كما ذكر المؤرخون. ولكن الطغيان، والخمول، وضعف الهمة، وأخيرًا اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، قد أدت إلى انحدار الدولة إلى هذا البؤس الذي نراه. إنها مجرد كومة من الخرائب، حيث نرى منازل من الطين والقش مستندة على بقايا أعمدة من الجرانيت، والشوارع غير مرصوفة.

وسط هذه الصورة من الخرائب يبز بشكل جلي منظرٌ لأثرين هما فقط اللذين بقيا على حالهما طوال القرون التي ابتلعت غيرهما. هذان الأثران هما عمود بومبي، والذي سجله Severe ولم أره إلا من على بعد. ولكنني شاهدت عن قرب وبنظرة متفحصة المسلة المسماة إبرة كليوباترا، وهى مقدودة من صخرة واحدة من الجرانيت محافَظ عليها بشكل جيد. بدت لي بارتفاع ٧٢ قدمًا، وسبعة أقدام للقاعدة وأربعة قرب قمتها، وهى مغطاة بكتابات بالهيروغليفية على جوانبها الأربعة.

نرى كذلك عددًا من النخيل، وأشجارًا كئيبة تشبه لحد كبير تيلاً رفيعًا كالشاش أو الخيوط الرقيقة لأشجار الصنوبر وقد قُلمت فروعها حتى قرب قمتها. هكذا تقريبًا هي هذه الأراضي، بينما هي في الداخل خصبة، الأمر الذي قد يؤدي ـ تحت حكومة مستنيرة ـ إلى ولادة جديدة لعصر الإسكندر والبطالسة.

لدى وصولنا إلى الحي الأساسي في طرف المدينة، رأينا جوًّا من الحياة لم نشهده منذ زمن طويل؛ قوات تتمركز، وأخرى تتقدم لتعبر الصحراء في اتجاه رشيد، الجنرالات، الجنود، الأتراك، العربان، الجِمال. كل هذا التباين يشير إلى طابع الثورة التي كُلِّفت بتغيير وجه الأمور.

في وسط هذا الهرج بدا القائد العام ينظم مسيرة القوات، وبوليس المدينة، والإجراءات الوقائية ضد وباء الطاعون، والتخطيط للتحصينات الجديدة، وتنسيق تحركات الأسطول الحربي مع الجيش المتواجد على البر، واستعمال بعض العربان في إيصال إعلانه إلى القبائل المتوجسة المذعورة.

مثل ضُرب: في هذه اللحظة أحد العسكريين تم استدعاؤه. كان قد اغتصب عنوةً خنجرًا من أعرابي وديع. تم إثبات ذلك. وفي لحظة تم إطلاق النار عليه فورًا.

حالاً وفي اليوم التالي قامت قبيلة عربية قوامها ثلاثمائة فرد

بإرسال ممثلين لهم للقائد العام، أقسموا له - على عقاب جهنم - على الصداقة بين الشعبين. وأعادوا عدة مساجين كانت بينهم امرأة كانوا قد ضربوها.

هذه القبيلة سوف تمدنا بجنود مسلحين. وبالتأكيد سوف يقلدها آخرون.

«الحرب ضد المماليك ولا حرب مع الأعراب». هذه سوف تكون الصرخة المتعالية لقواتنا، والتي ستكسح من أمامنا طغاة هذا الجزء من العالم.

أنا مُجبَر على إنهاء رسالتي.. السفينة سوف تغادر.. لم أراجع كتاباتي للتأكد من دقتها.. اعذرني.

وداعًا

جوبير

ملاحظات على الخطاب الثاني:

(١) هذا الخطاب بلا عنوان. وجوبير المرسَل إليه، من الأرجح أنه الجنرال جوبير، أحد الجنرالات الفرنسيين في إيطاليا والذي هو أخو المرسِل.

(٢) السفينة لوريان L'orient (تعني بالعربية: الشرق) هي سفينة قيادة الأسطول الفرنسي.

(٣) هذا الإعلان بالمرفق (سادسًا).

(٤) هل يتمشى هذا مع إعلان نابليون بعدم التفرقة بين الأفراد والأديان؟ وكذلك ما جاء في منشوره «الفرنسيون مسلمون حقيقيون...».

كذلك نتساءل: ألا يوجد في الحملة فرنسيٌّ يتقن اللغة العربية، وهي الحملة التي تفاخرت بإحضار مطبعة باللغة العربية؟!.

(٥) يبدو أن كبار المسئولين الأتراك مثل الفرنسيين لا يعرفون اللغة العربية. وأغلب الظن أن هذا الحديث إما تم باللغة الفرنسية أو عن طريق مترجمين، حيث يقول جوبير: «فقرأناه عليه».

(٦) جوبير بصفته قوميسار الأسطول الفرنسي مهتمٌّ بما يوجد في الأسواق من مؤن.

(٧) معلومات جديدة بالنسبة لي... فرنسيات منتقبات في جنوب فرنسا!!.

الخطاب الثالث

من مرفأ أبو قير ٢١ ميسادور

«لنظرك فقط»

إلى الجنرال بروي Bruix [1]

أقدم لك تقريرًا إداريًا في خطابي اليوم يا عزيزي Bruix وسوف أتخلى عن حيطتي والتزامي وأحدثك عن وضعنا في هـذا البلـد. لـن يكون هناك ترتيب في خطـابي؛ لأنـني مـشتت البـال طـوال الوقـت بسبب المطالبات المتكررة والتي تعلم أننا لم نوفرها عند الرسو، ومـن جهة أخرى لأن سفينة المراسلات على وشك الرحيل.

على العموم فضباط البر وضباط البحر قد افترقا عـن بعـضهما ببرود. التكدس والحشر الذي عانوه لمدة طويلة، وشح موائد الطعام لا شك تسببت في ذلك.

كافة الأوامر التي على قدر مـن الأهميـة كانـت في بدايـة الأمـر يـصدرها القائـد العـام، وبالتـالي يقـوم رئـيس الأركـان Berthier بإبلاغها إلى الأدميرال، سواء كان ذلك عنـد الرسـو في مالطـة أو في الإسـكندرية. كانـت الأوامـر في الحالـة الأولى في نفـس اليـوم، وفي الحالة الثانية بيومين سابقين فقط، وأنـت تعـرف مـدى الفـارق بـين الاستعدادات والترتيبات البحرية والاستعدادات والترتيبات البرية[2]

ولكن هذه هي طريقة القائد العام. ولقد تحققت كل الأمور تمامًا. مالطة بدون مؤن، والأموال قليلة، وبيع المنقولات والممتلكات الوطنية سوف يستغرق حتمًا وقتًا طويلاً. عددٌ ضخم من الأفراد تم تعزيزهم بالأمر. أتصور أن الإمدادات من فرنسا لن تكون وفيرة. وتلك المصرية لم يحن بعد وقت تحقيقها، وهذا حاليًا من وجهة النظر الحربية هام للغاية.

قبل وصولنا بخمسة أو ستة أيام كان قد توقف انتشار الطاعون في الإسكندرية والذي كان سببه وجود سفينة موبوءة في «الميناء الجديد» والتي هرب بعض بحارتها إلى المدينة ولم ينتج عن ذلك أي حادث. من ناحية أخرى فكما تعلم أنه مع شدة الحرارة فإن الطاعون لن يتمكن من مصر.

ربما قد قرأتَ – وباريسيون آخرون – الإعلان المحمدي للقائد العام. لقد مر من تحت Lazzi، وكان له تأثير كبير. هل تذكر الصرخة السحرية المماثلة «القتالُ ضد القصور والسلْم للأكواخ»[٣].

القائد العام سيصل إلى القاهرة على رأس جيش عظيم، ولكن الذي سيقوم بباقي الأمور هي الفرق العسكرية.

عندما شاهد الضباط والجنود الإسكندريةَ والصحراء لدى اقترابنا، صفعهم الذهول، وقد هدّأ بونابارت من روعهم.

لقد عامل العربان والمماليك بعض مساجيننا مثل سقراط كما

ذكر Alcibiade، فالأمر يلزم إما الإبادة والهلاك وإما التغاضي والتسامح. أحد رجال مدفعيتنا قتل. الأسرى منا من النساء ضربوهم فقط[٤].

ميناء الإسكندرية صفر من ناحية التموين البحري[٥] وصفر من ناحية المنشآت والمؤسسات. الغزو يقدم العديد من الموارد، وسنحصل على فائدة كبيرة فيما بعد. لقد استغرق الإسكندر عامًا ليفعل كل شيء.

ما زال حتى الآن غير مؤكد إذا كانت مراكبنا طراز ٧٤ يمكنها دخول الميناء. مركبتان طراز ٦٤ من فينسيا أمكنهما ذلك. هناك كلامٌ يتردد حول إخلاء مراكبنا من المدافع لتمكينها من الدخول. ولكن ما الذي علينا أن نفعله؟ ومتى وكيف سنخرج[٦] ؟.

نحن في مرفأ أبي قير على بعد ٥ فراسخ شرق الإسكندرية. وهو أمر طيب في الصيف، وغير محتمل في الشتاء.

الإنجليز لديهم ١٤ سفينة، ونحن لدينا ١٣ منها ٣ حالتها سيئة. وفي ظروفنا هذه نحن ننتظرهم. الرأي السائد [والذي قد يحتوى على بعض المشاعر الشخصية] هو أنه بمجرد الإنزال سوف نتجه إلى كارفور حيث تنضم إلينا سفننا فى مالطة وطولون وأنكون فنكون مستعدين لكل الأمور. لقد قرر الجنرال غير ذلك. إن الحظ الحسن الذي صاحب عملياته سوف يتبع ذلك أيضًا. وعلى ذلك فنحن هنا

في مهب رياح القدر، وصريرها يزعـزع قلـيلاً مـن مبـادئي. وبمـا أن الأفراد عامةً غافلون غير متبصرين لما يرغبون في تحقيقه من أمنيـات، لذلك فلديَّ بعض الأحلام بأن أكون منسقًا عامًّا لـبعض الوقـت في مالطة. ولكن عندما أرى أنه على الأقل في العـام الأول لـن يحـصل هذا الميناء على أي تأييد أو مساعدة سواء مـن فرنـسا أو مـن مـصر ليجعل الأيام والأمور محتملة. عندما أرى عـددًا كـبيرًا مـن الأفـراد يقاسون على الأقل من مشاق العبور، وأرى تنظيمًا سيئًا بدون شك ولكنه مستمر وثابت بدلاً من تنظيم مختلف عن ذلك - عنـدما أرى كل ذلك أقول لنفسي: «ليكن هناك شخص آخر، شاهدًا علـى هـذا الكرب» مستثنيًا أمانينا وأهدافنا في الإسكندرية حيث عليَّ أن أعمل الكثير، وأعانى الكثير من الطقس ومن الأفراد.

لقد زاد بقوةٍ تمسكي عن أي وقت سابق بالبحرية، مقررًا متابعتي لمستقبلها وقدرها.

كثيرًا ما وجَّهتُ نظري نحو فرنسا، نحو أصدقائي. ولكنني لم أندم لحظةً واحدة على التضحيات التي قمت بها.

إلى اللقاء عزيزي Bruix ، كن سعيدًا. حقق آمالك

جوبير

واسمح لي بأن أبعث هنا إلى كل من السيدة Bruix والآنسة Therese إخلاصي واحترامي.

لم أسرد عليك ما يتعلق بالاستيلاء على الإسكندرية. وقد كلفت Forestier بأن يقرأ عليك الخطابات التي أرسلتها إليه. وحيث يوجد الكثير من الطيش وعدم التبصر في هذا الخطاب، لذلك سوف يسعدني أن تقوم بإحراقه بعد قراءته(٧).

ملاحظات على الخطاب الثالث :

(١) هـذا الخطـاب متميـز – فجـوبير – قوميسار الأسـطول في الإسكندرية يكتب خطابًا شخصيًا لوزير البحرية الفرنـسي، ويبعث إخلاصه واحترامه لكل من زوجة الوزير وابنته. لم يمض على الثورة ٦ سنوات والصلات الخاصة والتربيطات السرية على قـدم وساق. مثل هذه الأمور تصاحب دائمًا التغيرات التي تقلب مـوازين الحكـم فتلعب دورًا واضـحًا. فـالجميع يـسعى لانتهـاز الفرصـة لاقتنـاص موضع يروق له ويُرضي طموحاته.

هذا ويُحدثنا التاريخ عن الدور الهـام الـذي قـام بـه Brumaire Biruix وزير البحرية هذا بالمشاركة مع وزير الخارجيـة Tallerand في إنجاح الانقلاب الذي أعطى السلطة المطلقة لنابليون في حكم فرنسا.

(٢) هكذا منذ الأيام الأولى للحملة والخلافات بين قادة البحرية وقادة الجيش. وواضح أن جوبير يحاول التأثير علـى وزيـر البحريـة منتقدًا وساخطًا على الجيش والقائد العام.

(٣) هذه المقولة من شعارات الثورة الفرنسية. ويعتبر جـوبير أن نابليون استخدمها كدعاية في التأكيد بالحرب ضد المماليـك والـسلم للمصريين والباب العالي.

(٤) لأول مرة خطاب فيه ذكر لنساء الحملة. وكان بعض رجال الحملة قد أحضروهن معهم ومنهن زوجات لبعضهم.

(٥) يكتب لوزيره بأن الإسكندرية خاوية خالية من المؤن. بينما في خطابه لأخيه في نفس اليوم يحدثه بما شاهده من الحمام والأغنام في سوق بالإسكندرية.

(٦) من ضمن أخطاء الحملة والعجلة السرية لإرسالها عدم دراسة تضاريس ميناء الإسكندرية قبل سفرها. وسوف نرى أن مشكلة عدم إمكان دخول السفينة القيادية الأوريان وغيرها إلى رسو الأسطول بشكل جعله عرضة لكارثة في أبو قير.

(٧) واضح؛ حتى لجوبير نفسه، اضطراب أفكاره، وعدم رضائه عن ظروفه في مصر. وقد أبدى لوزيره أنه يتمسك بمستقبل في البحرية وأوضح رغبته في أن يكون له منصب في مالطة. هو في نفس الوقت يخشى أن يطلع أحد على ما كتبه فيطالب وزيره بإحراق الخطاب بعد قراءته. ومما كتبه نتبين أنه ربما يرسل العديد من الخطابات للوزير عن طريق المدعو Forestier.

الخطاب الرابع

من على ظهر الأوريان

٢١ ميسيدور العام السادس

من الأدميرال Brueys قائد القوات البحرية للجمهورية في البحر المتوسط

إلى وزير البحرية والمستعمرات

المواطن الوزير ...

كنت قد كتبت إليكم من مالطة بتاريخ ٢٦ بريريال Prairial وأبلغتك بتفاصيل وصول الأسطول إلى هذه المنطقة والاستيلاء على الجزيرة.

الجيش والقافلة أبحرا في الأول من ميسيدور Messidor ووصلنا أمام الميناء القديم للإسكندرية في الثالث عشر من هذا الشهر. وكنت قد سبق أن أرسلت السفينة Junon لإحضار القنصل العام، وتحقق ذلك بنجاح. هذا القنصل هو المواطن Magallon جاءنا في الثالث عشر وأبلغنا أنه في العاشر تواجد أمام الإسكندرية أسطول إنجليزي في وضع قتالي، وأرسلوا للبر مركبًا، ولدى عودتها توجهوا في طريقهم إلى الشمال الشرقي، وتقديره أنه مكون من ١٤ سفينة شراعية.

أبلغنا القنصل كذلك أنهم في الإسكندرية ينتظرون منذ زمن

طويل وصول الفرنسيين وأنه توجد حالة من الغليان والقلق كبيرة في البلاد.

القائد العام رغب في أن يتم الإنزال فورًا. ولقد رسوت بالجيش والقافلة على الساحل. وفي ليلة الثالث عشر تم إنزال ستة آلاف فرد إلى البر في مرسى يقع غرب الميناء القديم قريبًا من قصر يسمى Le Marabou على بعد فرسخين من المدينة، لم يعارض الإنزال أحد.

في ظُهر الرابع عشر كانت قواتنا في المدينة. وبعد ثلاث ساعات استسلمت القلعة. كانت هناك بعض المقاومات على الأسوار التي تحيط بالمدينة، ولكن بسرعة تم تسلقها. لقد أطلقوا عدة طلقات لبنادق من الشرفات. والقلعة أطلقت عدة طلقات من مدافعها. والخلاصة وباختصار فقد سلّم الجميع.

لقد أنزلت كافة القوات والمهمات الخاصة بالقوات البرية. وفي التاسع عشر عندما تبين لي أن الأسطول لن يتمكن من دخول الميناء بسبب قلة العمق عند المدخل، أرسيت القافلة الفينيقية وأبحرت في طريقي للرسو في خليج Bequir [أبو قير] بالثلاث عشرة سفينة والثلاث فرقاطات. ووصلت إلى هناك بعد الظهر. كونت خط قتال على أبعاد ثلاثين سلكًا بحريًا. المراكب التي في المقدمة قريبة بقدر الإمكان من الصخور التي تقع في الشمال الغربي. أما باقي السفن فتكون خطًا منحنيًا بطول الأعماق وبشكل لا يمكن معه أن تنحرف

إلى الجنوب الغربي. هذا هو أقوى وضع يمكننا اتخاذه في حالة إغارة مكشوفة. حيث لا يمكن الاقتراب أكثر من الساحل لانتشار مدفعية تمكننا من إبقاء الأعداء بعيدين عن الموقع الذي يرغبون فيه[1].

أمس التاسع عشر[2] دخلت قواتنا رشيد. الجيش في طريقه للقاهرة. لقد أدخلنا في النيل أكثر مراكبنا خفةً، أمرني القائد العام بأن يقودها رئيس الفرقة Peree، هذا الأسطول الصغير في سبيله لمحاولة المرور في فرع رشيد هذا الصباح.

هكذا ترى أننا نسير في غزونا لمصر بخطوات عملاقة.

إنه لمن المقلق أنه لا يوجد ميناء يمكن للأسطول دخوله[3] فالميناء القديم - بدون موارية - مغلق بواسطة شعاب صخرية بارزة فوق الماء وتحته، مكونةً ممرات ضيقة بينها وبين بعضها البعض لا تترك سوى ٢٣ قدمًا أو ٢٥ أو ٣٠.

لذلك فإنه في حالة سفينة طراز ٧٤سوف تكون بعد ربع ساعة معرَّضة بلا شك لخطورة كبيرة لارتطامها.

لإرضاء القائد العام، عرضت عشرة آلاف فرنك لأي بحار من البلد ليدخل الأسطول. ولكن لم يرغب أن يكون مسئولاً إلا في حالة سفينة لا يتجاوز غاطسها ٢٠ قدمًا.

رغم ذلك أرجو أن نتمكن من اكتشاف ممر يمكن لسفننا طراز ٧٤من الدخول. ولن يتأتى ذلك إلا كثمرة لجهد ومتاعب كبيرة.

لذلك فقد كلفت ضابطَيْ مخابرات - أحدهما قائد الفرقاطة L'alceste القبطان Barre، والثاني المواطن Vidal ملازم بالفرقاطة Vaisseaux إذا وجدا ممرًا أن يعلّماه بعوامات، وبذلك يمكننا الدخول دون مخاطرة كبيرة. العمق بين الصخور يتزايد حتى يصل إلى ١٥ Brasse[٤]، لكن الخروج سيكون دائمًا أكثر صعوبة ومستغرقًا لوقت أطول. لذلك سيكون الأسطول في وضع سيئ.

لم أسمع أي كلام عن الإنجليز؛ ربما يكونون في بحث عام في سوريا. وعلى كل حال فأنا أتصور أن لديهم أقل من ١٤ سفينة. ويجدون أنفسهم أقل تفوقًا عدديًا منّا، ويقدرون أنه من غير الملائم أن يواجهونا.

نحن ننتظر بصبر كبير أن يهيئ لنا غزو مصر وسائل المعيشة، الملتزمون بها دائمًا للقوات، مع ما يصيبنا كل يوم من استنزاف جديد. لم يبق لدينا من البسكويت سوى ما يكفي لخمسة عشر يومًا[٥].

نحن في هذا المرفأ وكأننا في وسط البحر، مما يعني استهلاك كل شيء، ولا تعويض عن ذلك بأي شيء. بحارتنا ضعاف للغاية عددًا وكفاءة، مراكبنا بصفة عامة سيئة التسليح، وأرى أن الأمر يستلزم شجاعة بالغة لتحمل مسئولية قيادة سفن سيئة بهذا الشكل[٦].

أقدم لك فيما يلي نصًا لفقرة من خطاب القائد العام تلقيتها

أخيرًا: «لقد طلبت من الإدارة التنفيذية ترقية مساعد الإدميرال «Ganteaume» بقيادتك العامة. أرجو منك اعتماد ذلك. هدفي من ذلك أن أعبر عن تقديري واعترافي بالخدمات الممتازة والنشاط والحماس الذي تميز به رئيس أركانك. وبصفة عامة كل الأسطول، في تنفيذهم لأوامر الحكومة» التوقيع بونابرت[(٧)]

تحياتي واحتراماتي

التوقيع

Brueys

ملاحظات على الخطاب الرابع :

(١) قبل معركة أبي قير بحوالي أسبوعين، وبدون معلومات عن الأسطول الإنجليزي يجد الأدميرال نفسه محبطًا وغير قادر على دخول ميناء الإسكندرية. ويفاجأ بأن غاطس سفنه لا يسمح بذلك بعد ستة أيام من وصوله لمصر (وصل الثالث عشر من ميسيدور وأبحر لأبي قير في التاسع عشر منه). ويضيف أدميرال الأسطول الفرنسي إلى وزيره أن «المراكب التي في المقدمة قريبة بقدر الإمكان من الصخور»، ولكنه يعود للقول «نحن في هذا المرفأ وكأننا في وسط البحر» ـ كنايةً على صعوبة الحصول على مؤن.

(٢) يفهم من ذلك أن الاستيلاء على رشيد كان بعد ستة أيام من الاستيلاء على الإسكندرية.

(٣) كيف يفاجأ أدميرال بأنه لا يوجد ميناء لرسو سفنه؛ هذه الصخور لم تظهر فجأة؟!.

(٤) هذا مقياس بحري ويساوي حوالي ١٦٠سم. ويبدو أن الأدميرال يرى صعوبة في الخروج من الميناء لو دخله.

(٥) البسكويت نوع من الخبز المجفف؛ والتي اتُّهمت ماري أنطوانيت بالتعالي على جماهير شعبها عندما طالبت بالخبز وأنها قالت: لماذا لا تطعمونهم بسكويت؟!.

(٦) كلام خطير يخلي به نفسه مسبقًا من أي مسئولية؛ فهو قبل أي معركة يقول لوزير البحرية أنه يتحمل مسئولية لا قِبل لأحد بتحملها؛ فالبحارة والمراكب غير صالحة.

(٧) واضح ما يهدف إليه الأدميرال، وكذلك شعوره نحو الأوامر التي يصدرها نابليون. وهو غير راض عن الخضوع لأوامر جنرال في الثلاثين من عمره يترأس الحملة، والأدميرال لا يرضيه أن يبقى في مصر، وربما لا يعلم أن هنالك أهدافًا توسيعه تسعى إليها فرنسا في المنطقة.

الخطاب الخامس

الجيزة ٦ ترميدور العام السادس

من Emmanuel Peree رئيس فيلق [١]

إلى الأدميرال Brueys القائد العام للقوات البحرية

المتواجد أمام الإسكندرية

أيها المواطن الجنرال ...

منذ انفصالنا لم أتوقف عن تذكير القائد العام بالوضع الذي تركتك عليه، الأمر الذي شغله كثيرًا. وقد انتهز أول فرصة سنحت له ليرسل إليك ٥٨ مركبًا محمّلة بمختلف المواد الغذائية.

أما بالنسبة لنا فإن وضعنا لم يكن طيبًا منذ افتراقنا في الخامس والعشرين من ميسيدور، لقد قابلنا قوات العدو عند الفجر، وكان لديَّ في ذلك الوقت ثلاث مدفعيات ومركب شراعية والسرف Cerf، وكان لدى العدو سبع مدفعيات عيار ٢٤، ٣٦. بدأت العمليات الساعة التاسعة [٢] مدفعيتان من مدفعيتي على المركب الشراعية تركت وهجرت بسبب النيران الكثيفة للعدو التي هاجمتنا من البحر ومن البر. استولى عليهما العدو. ولكن النيران القوية التي أطلقتها السرف Cerf ومدفعيتنا الأخرى اضطرتهم إلى ترك غنيمتهم. لقد قمت بإغراق قيادة مدفعيتهم إلى الأعماق، فسرَتْ روح الهزيمة في أسطولهم ولم يكن أمامهم وقتٌ إلا للفرار.

من المؤكد أنه لولا أن ثلاثة من خير مراكبنا اضطرت للتخلي عن المعركة[٣] لما كان هناك أي سؤال عن مصير أسطول العدو. جُرح عشرون فردًا لدى وعدد قليل من القتلى[٤] لقد تطاير سيفي وجرح جزء بسيط من ذراعي الأيسر. وأعتقد أن ذلك هَيِّنٌ، وأنا تقريبًا قد تماثلت للشفاء.

التعاسة والبؤس في عبورنا واجتيازنا لا يمكن وصفها؛ لقد أجبرنا خلال عدة أيام أن لا نعيش سوى على أكل البطيخ، طوال ساعات من طلقات رصاص الأعراب. ورغم ذلك فلقد خرجنا منتصرين مقابل عدد من القتلى والجرحى.

نهر النيل ليس كما قيل لي[٥] هو نهرٌ كثير التعرجات، ضحلاً في أجزاء كثيرة منه، مما اضطرني إلى ترك السبشك ومركب شراعية ومدفعيتين على بعد ١٣ فرسخًا من القاهرة حيث وصلت إليها أمس الساعة الثامنة مساءً.

القليل من الوقت الذي لديَّ لا يسمح لي بذكر تفاصيل أكثر.

جيشنا قابل المماليك في عملية حيوية للغاية، فقدوا فيها ما يقرب من ١٢ ألفًا، أما خسائرنا فأقل بكثير، ونقدرها بعشرين قتيلاً ومائة وخمسين جريحًا.

تحياتي واحترامي

إيمانويل بيريه

ملاحظة:

أرجو يا جنرال أن ترسل لى خمسة أو ستة ضباط استخبارات وأربعين فردًا، وسأكون ممتنًا لك على ذلك، وكذلك القائد العام.

ملاحظات على الخطاب الخامس :

(١) ضابط بالبحرية الفرنسية اختاره نابليون لقيادة أسطول صغير في نهر النيل.

(٢) يقول إنه قابل العدو عند الفجر. وأن العمليات كانت بدايتها في الساعة التاسعة، ولا يقول ماذا دار خلال هذه الساعات.

(٣) لا يذكر لنا أية أسباب اضطرت ثلاثة من خير مراكبه إلى عدم المشاركة في المعركة.

(٤) جرى العسكريون على تقليل حجم خسائرهم البشرية. وهنا لا يذكر لنا عدد قتلاهم.

(٥) يتضح لنا أن معلومات الحملة عن مصر ينقصها الكثير، خاصة المعلومات الجغرافية، ليس فقط عن ميناء الإسكندرية بل عن نهر النيل أيضًا.

الخطاب السادس

ترسى TERSI في ٧ ترميدور العام السادس

من كولبير Colbert إلى صديقه Collasse

أسارع يا صديقي العزيز بإعطائك أنبائي، وأن أذكر لك بضع كلمات عن معاناتنا، وما أُكرهنا عليه. إن الريبة والشك التي ما زلت أعاني منهما بالنسبة لمصير أمتعتي، كثيرًا ما تثير قلقي وتشغل بالي.

إنني في حالة كاملة من العوز، وليس لديَّ كلباس سوى القميص والملابس التي كانت فوق جسدي عند مغادرة الإسكندرية.

لذلك ولهذا السبب أرجوك أن تفوِّض Douzelot ، إذا تكرم أن يتولى أمر حقائبي. وفي حالة حدوث نقيض ذلك يمكنك تفويض أحد الضباط المكلفين بإحضار عتاد نصف لواء بذلك.

أرجوك إعطائي بعض التفاصيل عن ما آل إليه داوري Daure وعن نقودي، وعن تُحفي ومجوهراتي. لم أحظ بأي كلمة عن ذلك.

والآن وقد حدثتك عن أموري، أقول لك، بأنه تقريبًا يستحيل عليَّ أن أعطيك فكرة عن ما أُجبرنا عليه؛ آلام ومعاناة فوق آلام ومعاناة، حرمان، غم وخزي وقهر وتعب. كلنا أجبرنا عليها اليد العليا، ثلاثة أرباع الوقت نموت جوعًا. هذه صورة متتابعة لحياتي منذ أن غادرتك. رغم أن إمكانياتنا أكبر حاليًا ، فإن معيشتنا ليست

أكثر رضًا وسعادة. بعيدًا عن كافة أحبائنا[1].

لن أحدثك عن نجاحات جيوشنا، سوف تسمع الكثير يقال عنها..

إلى اللقاء صديقي العزيز، فكر في ما طلبته منك. تخيل أنني عارٍ وأنك سوف تقدم لي خدمة معتبرة.

صديقك

COLBERT

ملاحظة:

تحياتي إلى TELLIER

وإلى مفوضية الحرب

و COLLASSE المسئول عن الخدمات بموقع الإسكندرية

ملاحظات على الخطاب السادس :

(١) لا يوجد ما يلفت النظر في هذا الخطاب. ويرجع في الغالب اختياره إلى رغبة البحرية الإنجليزية إبراز حالة عدم الرضا والإحباط لدى أفراد الحملة.

ويبدو لنا أن عدم الرضا هذا يرجع إلى تصور جنود الحملة أنهم سيحصلون على العديد والثمين من الغنائم، ثم يعودون إلى فرنسا مثلما حدث بالنسبة لحملاتهم في إيطاليا، فلم يتحقق حلم الغنائم وعودتهم غير محدد لها زمن.

الخطاب السابع

القاهرة الكبرى ٨ترميدور

إلى الجنرال بورنونفيل Bournonville

رقم ٦١ شارع فوبورج أونوريه Fauxbourg-Honore باريس

نحن في القاهرة منذ أربعة أيام يا عزيزي الجنرال. مسيرتنا كانت شاقة للغاية، تحت شمس محرقة، فوق الرمال، وفي صحارٍ قحلة، وغالبًا دون ماء ولا خبز. هجوم عنيف من القوات استولت على الإسكندرية، معركة حامية قصيرة المدى أدت إلى الاستيلاء على القاهرة.

أنا أتحمل بقدر ما أستطيع في جو غريب ولا يناسبني بتاتًا. نحن في الغالب سنأخذ فترة راحة هنا. ربما فقط للتخلص من آثار التعب وتأثير المناخ، ثم نقرر هل سيكون بقاؤنا هنا طويلاً.

لم أكتب إليك عزيزي الجنرال كما كنت أرغب، ولكن يجب أن تكون الخطابات قصيرة لكي يمكن وصولها[١]. ربما خطابي هذا قد أصبح أطول من اللازم.

أستسمحك في إبلاغ عائلتي بأن أخباري وصلتك.

ثق عزيزي الجنرال بخالص ودي، وأن ألف فرسخ من المسافة لن تضعف ذلك.

'D' 'د'

ملاحظات على الخطاب السابع :

(١) يبدو من بعض الخطابات أن هناك تعليمات للاختصار بقدر الإمكان في الخطابـات. يتبعهـا وينفـذها الـبعض، ويتـصور الـبعض الآخر أنها لا تنطبق عليه. يلاحظ كذلك أن التوقيع بحرف D وليس بالاسم كاملاً.

الخطاب الثامن

من القيادة العامة بالقاهرة

٩ ترميدور العام السادس

من بونابرت عضو الجمعية الوطنية والقائد العام

إلى الأدميرال Brueys

بعد مسيرات على قدر كبير من المشقة، وعدد من المعارك، وصلنا أخيرًا إلى القاهرة. لقد كنت بصفة خاصة راضيًا عن قيادة وتصرفات رئيس الفرقة بريه Peree ولقد رقيته إلى مساعد أدميرال.

علمت من الإسكندرية أنه في نهاية الأمر قد وجدنا ممرًا يمكننا من مرادنا. وأنا لا أشك في أنكم حاليًا متواجدون في الميناء بكافة الأسطول(١).

يجب أن لا يكون لديكم أي قلق بخصوص تموين الجيش البحري؛ فهذه البلاد لديها من الخيرات ما لا يمكن تصوره، من قمح وخضروات وأرز ومواشٍ.

أعتقد أنه سيصلني باكر أو بعده أخبار منك، والتي لم تصلني منذ مغادرتي للإسكندرية(٢).

لدى وصول خطاب منك يبلغني بما قمتم به وأوضاعكم سوف أوافيكم بالأوامر عمّا علينا القيام به.

لا شك أن القيادة العامة قد أرسلت لك تقريرًا عن انتصاراتنا الأخيرة.

أعتقد أنه لديك فرقاطة متواجدة أمام دمياط. وحيث أنني أنوى الاستيلاء على هذه المدينة فأطلب منك إعطاء الأوامر للضابط الذي يقودها بأن يقترب منها بقدر الإمكان، وأن يقيم اتصالات مع قواتنا التي ستتواجد هناك بمجرد استلامك لهذا الخطاب.

المبعوث الذي أرسلته إليك يجب إنزاله في المكان الذي يبدو أكثر مناسبةً - طبقًا للمعلومات التي لديك عن العدو وعن الرياح السائدة في هذا الموسم. وأرغب في أن ترسله في فرقاطة يكون لديها أوامر بالإبحار خلال ٤٨ ساعة من رسوّها في ميناءٍ سواء مالطة أو Ancone، وأوامر للضابط قائدها بموافاتنا بالأخبار وكافة الأنباء التي يمدنا بها عملاؤنا.

سوف أسرِّب إلى الإسكندرية قدرًا كبيرًا من السلع لسداد نولون سفن النقل.

آلاف الأمنيات الطيبات إلى Ganteaume وأيضًا Casabianca (٣)

تحياتي

بونابرت

ملاحظات على الخطاب الثامن :

(١) قبل ٤ أيام من مهاجمة نيلسون للأسطول الفرنسي في أبي قير والقائد العام للحملة يعتقد أن الأسطول بأكمله دخل ميناء الإسكندرية ولا يعلم أنه في أبي قير. الأدميرال الفرنسي يكتب لوزير البحرية الفرنسية بتفاصيل قيامه بالرسو في أبي قير ولا يخطر نابليون بذلك.

قد يكون مفيدًا وجديرًا بالبحث ما تم بالنسبة لتكليف الأدميرال ضابطين بحريين من المخابرات إيجاد ممرات يمكن بواسطتها الدخول لميناء الإسكندرية رغم أنه كان غير مقتنع بذلك ويرغب في العودة، حيث أنه يرى أن الخروج من الميناء، لو تم دخوله سوف يكون صعبًا.

(٢) طريقة مهذبة من نابليون يلوم فيها قائد الأسطول لعدم إخطاره بأية أخبار منذ مغادرته الإسكندرية إلى القاهرة. وفي نفس الوقت عدد ممن الأوامر لإثبات أنه القائد العام.

(٣) يؤكد مركزه القيادي للأسطول. فيبدأ خطابه بترقية أحد الجنرالات البحرية ويُنهي خطابه بتحيات لكبار الجنرالات في الأسطول.

الخطاب التاسع

من القيادة العامة بالقاهرة

في ٩ ترميدور العام السادس

من بونابرت عضو الجمعية الوطنية والقائد العام

إلى قائد فيلق كليبر Kleber

لدينا في القاهرة، أيها المواطن القائد، دارسك نقود جميلة جـدًا[١] لـذلك سـتوجد لـدينا حاجـة لكافـة الـسبائك الـتي تركناهـا فـى الإسكندرية مقابل بعض المسكوكات النقدية المحلية التي أعطاهـا لنـا التجار.

وعلى ذلك أطلب منك جمع كافة التجار الذين تم إعطاؤهم هذه السبائك ومطالبتهم بردها. وسوف أعطيهم بدلاً عنهـا قمحًـا وأرزًا من الذي لدينا منه كميات ضخمة[٢].

إن افتقارنا للعملة، يقابله غنانا من الحاصـلات الزراعيـة. الأمـر الذي يجبرنا قطعًا على سحب وانتزاع أكبر قدر يمكننا مـن الـسبائك والفضة من التجار وأن نمنحهم بدلاً عنها حاصلات زراعية.

لم تصلني أخبارك منذ مغادرتي للإسكندرية. لا شـك أنـك ملـم بالأنباء المغرضة عن وجود حالة قلق وبلبلة. كنت قـد كتبـت إليـك عدة مرات عـن طريـق أهـل البلـد، لكـنني أخـشى أن العربـان قـد

التقطوها كما أتصور أنهم احتجزوا رسائل لك أيضًا. أنتظر أخبارك مع بعض نفاد الصبر(٣) سوف تكون قد وصلتك بلا شك رسائل من فرنسا.

لقد تحملنا من المتاعب ما لا يستطيع الكثير من الناس أن تكون لديهم الشجاعة على احتماله. ولكن حاليًا نحن نستريح في القاهرة، والتي لا تمانع في منحنا الكثير من الإمكانيات. قد تم تجميع كافة الفرق العسكرية. لقد زوَّدتنا القيادة العليا بالتعليمات العسكرية التي سبقت دخولنا القاهرة. ولقد كانت حقًا مبهرة. لقد ألقينا في النيل بألفين من خير فرسان المماليك.

الجيش في حاجة ماسة لمهماته؛ ولقد أرسلت مساعد جنرال Almyras بكتيبة من الـ ٨٥ وكمية كبيرة من المؤن للأسطول في رشيد، وتم تكليفه لدى عودته بأن ينزل من المراكب باقي متعلقات الجيش وأن يرافق حراستها حتى القاهرة. قم بإعطاء أوامر إلى ضباط القيادة العامة والمسئولين عن المستودعات لإرسالها إلى رشيد.

أرسل إلينا مطبوعاتنا والنشرات العربية والفرنسية. راقب قيامهم بإنزال كافة النبيذ والمشروبات والخيام والأحذية... إلى آخره. أرسل كافة هذه الأشياء بالبحر إلى رشيد.

لاحظ أن امتلاء النيل بالمياه سيمكنهم من السير بعكس التيار حتى القاهرة بسهولة.

أنتظر أخبارًا عن صحتك، وأرجو أن تستعيد عافيتك بسرعة وتحضر لتلحق بنا. لقد كتبت إلى لويس Louis بخصوص الاتجاه إلى رشيد بكافة منقولاتي وأمتعتي في نفس الوقت، لقد وجدت في حديقة للمماليك خطابًا من لويس مؤرَّخًا ٢١ ميسادور، مما يثبت لي أن إحدى مراسلاتك قد التقطها المماليك.

سلام

بونابرت

ملاحظات على الخطاب التاسع :

(١) قامت الحملة باستخدام دار سك العملة هذه مع استمرارها كعملات عثمانية. وبواسطتها استطاعت إصدار أية كمية منها لتوفير كافة احتياجاتها. وقد ظهر سوء استعمال ذلك؛ إذ تم استخدام مواد مختلفة لسك هذه العملات وتلاعب في استخدامها.

(٢) هذا دليل على استيلاء الحملة على الحاصلات الزراعية والعمل على استرجاع ما قدمته من سبائك قيمة. ويبدو من كتاب القائد العام أنها كميات كبيرة. ذلك رغم ما يكتبه بعض مسئولي الحملة بأنه لا توجد مؤن كافية للحملة. وقد يكون الواقع لذلك حث باريس على المساعدات التي لم يصل منها شيء وتجاهلها التام للحملة حتى قيل إن الغرض من الحملة كان إبعاد نابليون ومن معه، وأغلبهم كان يطالب الدركتوار بميزات ومكافآت على حروبهم في إيطاليا.

(٣) نابليون القائد العام للحملة لديه مشكلة كبيرة. القيادات المختلفة التابعة له وتحت إمرته لا تهتم بوضعه في الصورة بالنسبة لأوضاعها وتصرفاتها. وهو ينبه عليهم ويطالبهم بموافاته بأحوالهم، ويؤكد لهم بأسلوب وصور مختلفة وجوب إطاعته. وربما يرجع هذا الوضع إلى الاعتبارات التالية.

أ- أنهم كثوّار وحقهم كغزاة لا يهم من يقودهم.

ب- أن غالبية هؤلاء المسمّين جنرالات مُنحوا هذه الألقاب لولائهم للثورة، والالتزام العسكري لإطاعة القيادات ضعيف لديهم.

جـ- من أهم هذه الأسباب أن اغلب هؤلاء قد جاوزوا سن الأربعين سنة، ونابليون فى الثلاثين، ويعتبرون نفسيًا أنهم أدرى منه وأكثر حكمة.

الخطاب العاشر

القيادة العامة بالقاهرة

٩ ترميدور العام السادس

من بونابرت عضو المجلس الوطني والقائد العام

إلى قائد فيلق كليبر Kleber

سوف تجد رفق هذا أيها الجنرال المواطن، نسخة من التنظيم المؤقت لمصر[١].

عليك اختيار الأغا، ومجموعة الستين التي سوف تكون معه.

عليك أن توصي بعمل جرد لكافة المنقولات والمتاع والثروات الخاصة بالمماليك.

الإدارة والمندوبون الفرنسيون سيتواجدون قريبًا في مناصبهم.

عليك بأن توصى بجمع كافة الخيل لسلاح الفرسان.

أرجو اتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بالإبقاء على الهدوء والنظام السليم في منطقة الإسكندرية.

تحياتي

بونابرت

[المرفق: التنظيم المؤقت]

القيادة العامة بالقاهرة

٩ ترميدور العام السادس

بونابرت عضو المجلس الوطني والقائد العام(٢)

تنظيمات

مادة أولى: سوف يكون لكل إقليم في مصر ديوان مكون من سبعة أشخاص مكلفين بالإشراف على مصالح الإقليم وإخطاري بكافة الشكاوى التي يلاحظونها، ومنع الصراعات التي تقوم بين القرى وبعضها البعض، ومراقبة المفسدين ومعاقبتهم بطلب قوات من القائد الفرنسي وتبصير في كل مرة بأن هذا أمر ضروري.

مادة ثانية: سوف يكون لكل إقليم أغا من الإنكشارية، والذي سيكون دائمًا مع القائد الفرنسي، وسوف يكون معه فرقة من ستين شخصًا من البلد مسلحين، والذي سيقودهم إلى أي مكان في حاجة لاستتباب النظام ووضع كل فرد في طاعة وهدوء.

مادة ثالثة: سوف يكون لكل إقليم مدير مكلف بتحصيل الضرائب الميري، وضرائب الفدان، وكافة الإيرادات التي كانت في السابق للمماليك والتي أصبحت اليوم تخص الجمهورية. وسوف يكون لديه أي عدد من المساعدين يحتاج إليه.

مادة رابعة: سوف يكون لدى هـذا المـدير المـشار إليـه منـدوب فرنسي معتمد بغرض القيام بالتراسل مع الإدارة المالية. ويقوم بتنفيذ كافة الأوامر الـتي تـصل إليـه، كمـا يتواجـد دائمًـا في كافـة الأمـور الإدارية.

إمضاء

بونابرت(٣)

ملاحظات على الخطاب العاشر:

(١) ستلفت نظرنا كلمة «المؤقت» مما قد يعني أن نابليون كان يفكر في مستقبل قابل لتغيير هذا النظام.

(٢) نلاحظ أن نابليون يبدأ ألقابه بصفته عضو المجلس الوطني. وقد يرجع ذلك لاهتمامه بالعلوم والآداب، وللتأكيد على حمله لقبًا لا يتمتع بِه الجنرالات في حملته.

(٣) هذا تنظيم به الكثير من الذكاء والحنكة، اقتبس منه من جاءوا بعده الكثير.

الخطاب الحادي عشر

من بولاق قرب القاهرة

٩ ترميدور العام السادس

إلى كليبرKleber

وصلنا أخيرًا إلى البلد التي كنا نرغب فيها، والتي هـي أبعـد مـن أي تصور حتى بالنسبة لأي عاقل يصورها لك. المساكن البشعة في القاهرة يقطنها رعاع وأوباش كسلة مشغولون أمام أكواخهم الشنيعة بالتدخين ويتناولون القهوة أو يأكلون البطيخ ويشربون الماء[١].

ويمكن لـذلك فقـدان يـوم بالكامـل في شـوارعهم ذات روائـح الصنان، والضيقة، لهذه العاصمة الشهيرة.

حيُّ المماليك هو الوحيد القابل للسكنى. القائـد العـام يـسكن أحد منازل البكوات الجميلة.

لقد كتبت إلى رئيس اللواء Dupuis – وهو حاليًا جنرال وحاكم القاهرة - لكي يقوم بحجز منزل لك ولم يصلني حتى الآن رده.

الفيلق يوجد على قرب من قرية تسمى بولاق Boulac[٢] قريبة من النيل وعلى بعد نصف فرسخ مـن القـاهرة، نحـن كلنـا نقـيم في منازل هُجرت وتُركت وحصون قبيحة.

Dugua فقط مكانه مقبول.

الجنرال Lannes تلقى أوامر بالذهاب لقيادة فيلق Menou بـدلاً من Vial الذى سيذهب إلى دمياط بكتيبته، وقد أكد لي أنه سـيرفض ذلك[٣]. الكتيبة الخفيفة رقم ٢ والجنرال Verdier متواجدين في موقع قرب الأهرامات على الضفة اليسرى من النيل، وذلك حتى يتسنى القيام بتحصين المنطقة التي يحتلها وحتى يمكـن إشـغال الموقـع بمائـة فرد.

يجب إقامة جسر مقابل الجيزة. هذا الموقع محتل في هـذه اللحظـة باحتياطي المدفعية والهندسة... فيلق Regnier أمام القاهرة على بعـد فرسخين أو ثلاثة، أما فيلق Desaix فسوف يصل إلى القاهرة القديمة. فيلق Bon في القلعة، وفيلق مينو في المدينة[٤].

لا يمكنك تصور المسيرات المهلكة التى قمنا بها لنـصل القـاهرة. وصلنا الثالثة أو الرابعة بعد الظهر. وقـد قاسـينا الحـر الـشديد، وفي أغلب الأحوال بدون طعام، وكنّا مضطرين أن نقتات على فتات مـا تركته الفيالق السابقة لنا في القـرى البـشعة الـتي نهبوهـا. ومهـددين طوال المسيرة بزمرات وجماعات اللـصوص المـسمّين البـدو والـذين قتلوا أفرادًا وضباطًا منا على بعد ٢٥ قدمًا من طابور الكتيبة.

مساعد الجنرال Dugua المدعو Geroret قتل أول أمس بهذا الـشكل فى طريقه يحمل أمـرًا إلى فرقـة عـسكرية علـى بعـد طلقـة بندقيـة مـن المعسكر. هذه حرب أؤمن بأنها أكثر شرًّا وأردأ من La Vandee[٥].

كان لدينا معركة يوم وصولنا على النيل قريبًا من القاهرة. المماليك الذين هداهم تفكيرهم إلى التواجد على الضفة اليسرى من النيل واجهونا بالمعركة، حيث ضربوا ضربًا متتابعًا. وهذه المعركة سُميت بمعركة الأهرامات، فقدوا فيها سبعمائة أو ثمانمائة فرد بدون مبالغة، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من هؤلاء غرقوا في محاولتهم عبور النيل سباحةً.

أريد بجد أن أعرف كيف هي أحوالك ومتى سيكون في إمكانك الحضور لقيادة الفيلق الذي هو في أيدٍ ضعيفة للغاية. الجميع يرغبون فيك ويترقبون إشارة البدء في الخدمة. إنني أبذل كل ما يمكن عمله لكي أبقى كل جانب مرتبطًا ببعضه ولكن ذلك يتم بشكل سيء.

القوات لا يتم دفع مرتباتهم ولا مؤنهم، ويمكنك تصور كيف يؤدى ذلك إلى التذمر، والذي ربما كان بشكل أقوى بين الضباط. لقد وعدنا أنه بعد ثمانية أيام من اليوم ستكون الإدارة قد نظمت نفسها لتنفيذ توزيع الدعم، وذلك أمد لن يطول.

إذا ما جئتَ في الحال– وهو ما أتمناه بشدة؛ اصطحبْ معك ـ حتى فوق مركبك – حملة البنادق ليمكنهم مواجهة هجوم العربان الذين من المؤكد أنهم لن يفوتوا فرصة ظهورك على النيل لمحاولة إطلاق النار عليك في المركب. قوميسار الحسابات Sucy كُسرت ذراعه فوق الأسطول لدى مهاجمة القاهرة.

ربما قد يمكنك المجيء على فلائك المدفعية أو الصنادل التي ذهبت لإحضار معدات القوات من الإسكندرية.

احضر. احضر. احضر

تمنياتي

Damas

محبتي لـ Auguste وزملائه

ملاحظات على الخطاب الحادي عشر :

(١) يفرد إدوارد وليم لين Edward William Lane في كتابه Manners and customs of modern Egypt وصفًا مفصلاً عن التدخين والقهوة والحشيش والأفيون في مصر. ويبين أنه طبقًا للإسحاقى فإن التدخين دخل مصر حوالي عام ١٠١٠م ويضيف لين أن ذلك جاء كبديل للخمر لتهدئة الأعصاب (من ص ٣٨ حتى ص٤٢).

(٢) سرت مقولةٌ أن بولاق تسمية فرنسية تعني البحيرة الجميلة Beau lac؛ وهذا خطأ تفشى. ففي هذه الخطابات يكتبها الفرنسيون Boulac ولم يكتبها أي منهم Beau lac.

أما لين ففي كتابه السابق ذكره ص ٧١ يكتبها Boolack ويصفها بالميناء الرئيسي للقاهرة لمنتجات الصعيد، ويمكن أن نضيف لنقد ذلك أيضًا أن هناك بولاق الدكرور وبولاق أبو العلا وغيرهما.

(٣) مزيد من كبار الضباط يعرقلون ترتيبات نابليون.

(٤) المعلومات العسكرية في هذا الخطاب خطيرة. وتقع في يد أعداء الحملة بهذه التفاصيل. ونلاحظ أن هذا الخطاب لم يخرج من مصر. فكيف حصل عليه الأسطول الإنجليزي ومتى؟!.

(٥) هذه مقاطعة في غرب فرنسا تقع على المحيط الأطلسي.

يسكنها متدينون يقودهم رجال دين متعصبون. وقد اعتبروا ثوار فرنسا كفرة، ورفضوا دستورهم، وأعلنوا العصيان، وتبادلوا القتال والمعارك مع حكومة الثورة بمساعدة من الملكيين والإنجليز. في ديسمبر ١٧٩٣م أبادهم وشرّدهم الجنرال الفرنسي Westermann في معركة Savenay وكان أحد ضباطه Jen Kleber.

الخطاب الثاني عشر

من القاهرة الكبرى في ٩ ترميدور

كلفني الجنرال Desaix يا عزيزي Douzelot، بأن أطلب منك بأن لا تنسى متاعه. ونحن نعتقد بأنه لا مانع من طلبنا نحن كذلك عن أمتعتنا أيضًا، فنحن ننتظر ذلك مثل انتظارنا للمسيح.

لا تنس بتاتًا أي شيء.

٤ صناديق صغيرة خاصة بالجنرال Desaix.

١ حقيبة قماش.

١ متكأ على شكل وسادة وله علبة صغيرة.

١ مكتب الجنرال.

٢ مرتبة وملاءة وغطاء سرير بيضاء.

١ زوج من الملايات[١].

١ كيس مخدة ووسادة للعربة - العربة رقمها ٥٤.

١٦ صندوق من خشب «الموسكي» معنونة باسم الجنرال Desaix تحتوي على نبيذ.

١ برميل من الخل.

٥ قنينات نبيذ في صندوق يتبع مكتب المواطن Le roi.

كل هذا موجود في مخزن المطبخ.

ما يخص Clement:

١ حقيبة كبيرة عليها عنوانها.

١ حقيبة قماش، وهاموك الخاص به[٢].

ما يخص Rap:

١ حقيبة جلد كبيرة، صندوق كبير والهاموك الخاص به

ما يخص Savary:

١ حقيبة مربعة سوداء.

١ مثلها مستطيلة.

١ حقيبة قماش زرقاء.

١ صندوق يحتوى على سروج مصنوع من الصنوبر مكعب ويغلق بمزلاج.

الهاموك الخاص بي - إذا كان هذا ممكنًا، وعلى الأقل مرتبتي وغطائي، وملاياتي، ومخداتي، وإذا وجدت وسيلة لشراء عدة زجاجات روم من النوع الجيد فأفعل ذلك.

نحن بدون طباخ، وإذا وجدت واحدًا فأتِ به.

قل لخادمك أن يمر على مبنى خيلنا ويأتي بحاجات Joly-Coeur[٣].

وأن يطلب من المواطن Martin المسئول عن قسم العشرين لفرقة

التنينات الحقيبة القماش الخاص بالتنين Alex Timber .

إذا وجدت صعوبات للشحن لإنزال العربة، فإن الجنرال يطلب إنزالها إلى البر ووضعها في مكان آمن في الإسكندرية.

أخوك طلب منى أن أقول لك بضرورة إحضار كل ما يخصه، وأيضًا أنه عليك أن لا تغفل أو تنسى أي شيء بتاتًا. لا تنتسي تلك التي تخص Bourdon.

إذا لم تستطع إنزال حصانك إلى البر، قم ببيعه. أو سلمه إلى المدفعية، وخذ إيصالاً بذلك وسنجد لك آخر هنا. أخوك لديه ثلاثة.

هناك مسألة نرى أن تهتم بها. فى اجتيازنا للصحروات قام أعداؤنا بهجمة ليلية، والتي خلالها فقدنا فرسة الجنرال Desaix والبردعة واللجام الخاص بالفرسان رقم ٧، حصانين لأخاك، وحصاني من التنينين ٢٠، وفرسة سوداء خاصة بـ Rap من الفرسان رقم ٧، وكذلك تلك التى تخص Clement قصيرة الذيل. لقد لاذوا بالفرار. وطبقًا للتقارير تم القبض عليهم في رشيد ووُضعوا في حظائر المدفعية. فإذا كنتَ في مسيرتك تستطيع التعرف عليهم والحصول على إيصالات بذلك، لقبض ثمنهم هنا.

لقد طلب منى أخوك أن أقول لك ما يلي: نحن نعيش هنا بشكل أسوأ بكثير من أيه حياة عشناها. لا يوجد أي رشفة من النبيذ ولا حتى العرقي. أخوك يرجوك إنزال بشكل ما حمولة من Civita

Vecchia بأكبر قدر يمكنك. وإذا كانت فى براميل أو غيرها فلا تترك شيئًا لدى Colasse تذكر جيدًا- نبيذ، عرق، روم.

لقد مر علينا قرن ونحن في شديد الحاجة لذلك. يوجد هنا قليل مما هو في غاية السوء علاوة على الأسعار، هم لا يعرفون كيف ينتجونه.

شيء آخر نطلب منك عمله. إنزال البالات الصغيرة من الأحذية والقمصان الخاصة بفرقة حاشية الجنرال Desaix حيث الجنود عرايا - سيتسلمونها بدل الأخرى.

إذا كنت في حاجة إلى نقود فاخصمها من التي لي. وأمسك بذلك حسابًا.

سلام. نحن ننتظر. افعل الأحسن، وخاصةً شوقنا إلى النبيذ وإلى العرقي الذي ستأتي به. وعلى الـ ١٦ صندوق الخشبية التي منها ١٤ خاصة بالجنرال بونابرت.

باسم الرب أرسِلْ مع الركب النبيذ والعرقي. الجيش كله مصاب بالإسهال بسبب اضطرارهم لشرب الماء. من أجل الرب نبيذ، وعرق، وروم. لا تنسَ حاجات الجنرال Baliard ولا تترك أي شيء عندك سوى أقل ما يمكن. بخصوص Mireur تعلم أنه قُتل(٤).

إلى اللقاء

سافاري Savary

سوف نرسل إليك ستين مركب نيلية، سيمكنها أيضًا أخذ مهام من الإسكندرية؛ وفي هذه الحالة سيجب محاولة وضع ذلك على إحداها. خادمي Amena هل هو مريض أم لا؟ أنا يمكنني تولى العلاج هنا.

ملاحظات على الخطاب الثاني عشر :

(١) نتعجب لجنرال وأعضاء من كبار قادة الحملة يقررون اصطحاب مراتبهم ووسائدهم وملاءات سرايرهم معهم إلى مصر والاهتمام باستلامها.

هل هذا جهل ونقص فى معلوماتهم عن مصر أم ماذا؟

(٢) الهاموك: رفراش للنوم يعلق بين قائمين.

(٣) نسأل هنا: هل لكل شخص هام فى الحملة خادمه الخاص؟

(٤) في خطاب من نابليون إلى الدركتوار في باريس بتاريخ ٢٤ يوليو جاء فيه «لقد خسرت الجمهورية خسارة كبيرة بموت الجنرال Mireur الذي كان أشجع الجنرالات الذين عرفتهم» أما في هذا الخطاب فيجيء ذكره فى نهايته وفى جملة مقتضبة «تعلم أنه قتل» هذا مع اهتمام بالغ بالأنبذة والخمور والأمتعة.

الخطاب الثالث عشر

القيادة العامة في القاهرة الكبرى

٩ ترميدور العام السادس

من Rampon جنرال كتيبة وقائد الثمانية عشر والثانية والثلاثون ونصف من الكتيبة المقاتلة.

لقد وعدتك في خطابي الأخير يا أخي العزيز أن أكتب لك من أعظم مدن العالم. وأبادر بأن أثبت لك مقدار رغبتي بالوفاء بعهدي لك. ليس في إمكاني أن أقدم لك تفاصيل عن أحوالنا ولا عن الحرمان الذي عانيناه فى مسيرتنا.

مغادرة السفينة لم يعطنا الوقت الكافي، لكن تقرير القائد العام الذي من المؤكد أنك ستراه في الصحف، سوف يوضح لك كل شيء.

Milhot وأكبر الأخوة Rampon قد تميزا في معركة الأهرامات[١].

Milhot تم ترقيته إلى ملازم في ساحة المعركة، و Rampon إلى مساعد ملازم في السرية السابعة للفرسان. بقي أمامي الابن الأصغر الذي آمل كذا أن أضعه في أول عملية؛ وعلى ذلك فأنا راض للغاية عنهما.

أستودعك الله أخي العزيز، راجيًا أن تكون في صحة طيبة، وكذلك صحة أختي، أما بالنسبة لصحتي فهي جيدة لدرجة كافية،

ولكنني متعب للغاية، والحرارة التي نعانيها في هذا البلد تنتزع نصف قوتي. في النهاية يجب علينا الشجاعة والصبر على الظروف القاسية التي نمر بها ربما نبلغ يومًا العودة إلى بلدنا(٢).

إلى اللقاء... أرق قبلاتي، ومائة تحية إلى أختي والعائلة كلها وأصدقائنا وأحبائنا. أرجوك إبلاغ أخباري إلى أختي Trappier حيث ليس لدي الوقت للكتابة إليها.

رامبون

Rampon

Souillier وأيضًا Milhot ابنَيْ أختنا طلبا مني إبلاغ تحياتهما.

ملاحظات على الخطاب الثالث عشر :

(١) تبين نابليون وتفهمه لأهمية الدعاية، وقدرته طوال حياته على استغلالها، لما لها من تأثير على الرأي العام، جعله يسمي معركة إمبابة «معركة الأهرامات»؛ فالأهرامات علامة جذابة وخاصة في أوروبا التي لم تسمع بإمبابة.

وما زالت بعض كتب التاريخ حتى اليوم تسميها معركة الأهرامات.

(٢) يتبين لنا هنا مفهوم أن الحملة على مصر في تصور الكثير من القادة الفرنسيين، مثل الحملات في أوربا - إيطاليا وغيرها - يتحقق فيها النصر ثم تعود القوات لفرنسا بالغنائم. أمّا تفكير نابليون بإقامة مستعمرة يمتد نفوذها لباقي المنطقة حتى الهند فغائب عن أذهانهم أو هم غير مؤمنين به.

الخطاب الرابع عشر

الجيزة في ٦ ترميدور

إلى المواطن لويس بونابرت الياور مساعد القائد العام بالإسكندرية

القائد العام كلفني يا عزيزي لويس بإبلاغ النصر الذي ناله على المماليك في الثالث من هذا الشهر. لقد كان نصرًا تامًا تحقق في إمبابة المقابلة لبولاق. بلغت خسارة العدو بين قتيل وجريح ٢٠٠ فردًا و٤٠ قطعة مدفعية والعديد من الخيل. خسارتنا كانت ضئيلة. البكوات هربوا إلى مصر العليا. الجنرال سيذهب مساء اليوم للقاهرة.

وقد كلفني أيضًا بإبلاغك بمغادرة الإسكندرية بكافة متاعه. عرباته، والخيل من مالطة، وعربته من Civita Vecchia متجهًا إلى رشيد حيث توجد فلوكات أهلية، والكتيبة رقم ٨٩ ومساعد جنرال Almeyras الذي ستركب النيل معه وتأتى إلى القاهرة بكافة متاعه، ولا تترك فى الإسكندرية سوى عربة سفره الجميلة.

لا تنسَ يا صديقي كافة الأمتعة التي تركناها في الإسكندرية؛ فنحن فى حاجة ماسة إليها. لا تنسَ بصفة خاصة النبيذ، الكتب، والصندوقين الخاصين بالأوراق التي عليهما اسم الجنرال وتلك التي تخص Collot [١].

أعانقك

Boursiennr

ملاحظات على الخطاب الرابع عشر :

(١) رغم أن لويس بونابرت أخٌ لنابليون ومساعد كليبر حاكم الإسكندرية، إلا أن نابليون يعامله رسميًا عن طريق سكرتيره الخاص.

وسكرتير نابليون هذا هو Louis Antoine Fauvelet De Bourrienne وعلاقته بنابليون بدأت منذ دراستهم فى المدرسة الحربية Brienne-De-Chateau، وقد عينه نابليون سكرتيرًا له عندما كلف بالحملة ضد إيطاليا. وظل صديقًا وكاتم أسرار نابليون حتى وهو إمبراطور على فرنسا. وقد صاحبه إلى مصر، وكان طوال الرحلة يقرأ عليه كتبًا لسير أبطال التاريخ والفلاسفة والقرآن. وقد عزله الإمبراطور عندما اتهم باختلاس أموال الدولة قائلاً: «أنا لا أحب من يعبدون العجل الذهبي».

(٢) استلفت نظرنا طلب إحضار نبيذ نابليون وكتبه وصندوقين لأوراق عليهما اسم نابليون و Collot؛ إذ كان هذا الشخص ليس من أعضاء الحملة فربما يكون القصد Jean Marie Collot D'herbois.

وهو كاتب مسرحي فرنسي فاشل، لكنه كان عضوًا في لجنة الاثنى عشر التي حكمت فرنسا فور قيام الثورة. وهو معروف بشراسته وعنفه وقوله إن كل ما يخالف الثورة يجب أن يباد.

(٣) لاحظنا أن كتابة اسم Borrienne في هذا الكتاب غير سليمة حيث كتبت أكثر من مرة Borsienne، وأهمية هذا الشخص ترجع إلى وجوده قريبًا من نابليون وملازمًا له يزامله منذ الدراسة وفى حملاته ويعود معه من مصر ويصبح سكرتيرًا للإمبراطور ويكتب مذكرات تعتبر مرجعًا هامًا لتصرفات وتفكير وآراء وإجراءات نابليون.

الخطاب الخامس عشر

مركز القيادة العليا في القاهرة

٩ ترميدور

أبادر يا والدتي العزيزة الغالية جدًا، بإعلامك بوصول الجيش الفرنسي الذي يشرفني أن أخدم فيه - إلى الإسكندرية في مصر. أثناء عبورنا استولينا على جزيرة وميناء مالطة - والتي تبعد ١٢٠٠ فرسخ عن طولون. والآن نحن في القاهرة الكبرى المدينة العاصمة لمصر على بعد ألف فرسخ من فرنسا[١].

لقد قاسينا كثيرًا لمدة شهرين قضيناهما في البحر - لم أتوقف كل يوم عن القيء حتى الدم - إلى أن وضعنا أقدامنا على الأرض تحت أسوار مدينة الإسكندرية. لقد تعافيت من دوار البحر ولكن آلامي لم تنته.

لقد فقدنا ٣٠٠ شخص لدى تسلقنا الأسوار والمتاريس لكي نسيطر على المدينة. بعد أربعة أيام من الراحة، كلفنا بملاحقة الفصائل العربية التي تراجعت وتمركزت في الصحراء. لقد كنت في المقدمة، ووقعنا على فيلق من فرسان العدو. حيوية فرسي التى تعرفينها - كانت سببًا في كل متاعبي؛ إذ خرج كالأسد على جياد وفرسان العدو، ولكن للأسف عندما شب على رجليه وقع

للخلف، وأنا لكي أتفادى أن أتحطم، قفزت جانبًا. ولأننا كنا بالليل لم يكن لدي الوقت للإمساك به، جرى وذهب مثل البرق مع خيول العدو التي تركت ساحة المعركة[٢].

كنت قد وضعت أسوأ ما لدى على بدني لكي أحافظ على ما هو جديد في حقيبتي. قدري أنني فقدت جوادي وكافة سروجه ومسدساتي ومعطفي وحقيبتي وكل حاجاتي التي كانت بها وكذلك أربعة وعشرين لويس فضية التي تسلمتها في مرسيليا ومتأخرات مرتبي، وأيضًا الأكثر أهمية ملفي الذي يحتوى على كافة أوراقي.

لقد وجدت نفسي فجأةً مجردًا من كل شيء ومضطرًا للمشي حافيًا لمدة تسعة عشر يومًا فوق رمال حارقة وحصى في الصحراء، حيث في صباح اليوم التالي لهذا الحادث المؤسف فقدت نعل هذه الأحذية العتيقة التي كانت فوق رجلي. ملابسي وسروالي القديم ذوي الفراء تمزَّق تمامًا إلى مائة قطعة. لا نجد قطعة من الخبز تسد جوعنا، ولا حتى رشفة ماء نبلل بها فمنا.

عزائي في كل هذا هو مزيد من اللعنات مائة مرة في اليوم على مهمة الحرب.

أخيرًا في الرابع من هذا الشهر وصلنا إلى ميناء القاهرة[٣]، حيث تحصَّن جيش العدو ينتظرنا بأقدام ثابتة. ولكن لحدة طباعنا بادرنا بمهاجمتهم في ملاجئهم الحصينة، وخلال ثلاث أرباع الساعة تكبد

العدو ثلاثة آلاف قتيل في ساحة المعركة، أما الباقون فلعدم تمكنهم من النجاة ألقوا بأنفسهم في النيل - وهو نهر في ضخامة نهر الرون - مما أدى لغرقهم، كما أطلقت عليهم النار وهم في الماء.

بعد مثل هذا النصر دخلنا إلى مدينة القاهرة والطبول تدق. وأدى ذلك إلى سيطرتنا على كل مصر(٤).

أنا لا أعلم يا والدتي الغالية كم من الوقت سيمر قبل سعادتي برؤيتك. أنا نادم تمامًا لمجيئي ولكن فات وقت هذا الندم. في النهاية أنا أستسلم للإله العظيم، ورغم البحار التي تفرق بيننا فإن ذكراكِ ستظل دائمًا محفورة في قلبي. وبمجرد أن تسمح الظروف سوف أتجاوز كافة الصعوبات للعودة إلى وطني(٥).

الله معك. حافظي على نفسك. آلاف التمنيات للعائلة.

ابنك

Guillot

ملاحظات على الخطاب الخامس عشر :

(١) واضح وجود خطأ كبير في تقدير المسافات غير مفهوم. وربما يرجع ذلك إلى جهل جغرافي.

(٢) واضح أن والدته تعرف حيوية فرسه، وليس هو الوحيد الذي أحضر فرسه معه، كما أن هروب هذا الفرس ليس جديدًا؛ ففي خطابات أخرى تفر وتهرب الخيول الفرنسية.

(٣) المقصود هنا بولاق ومعركة إمبابة. وقد جاءت أوصاف للمعارك المختلفة في عدد من الخطابات يبدو أن بعضها يصف كاتبه ما سمعه عن المعركة فاختلفت الأوصاف.

(٤) حتى خروج الحملة وعودتها إلى فرنسا بعد حوالي ٣ سنوات، لم تسيطر على مصر؛ فإبراهيم بك يشتت شمل القوات الفرنسية بقيادة الجنرال Le Clerc عندما حاول الأخير اللحاق به ونشبت بينهم معركة الصالحية في ١٠ أغسطس، وهذا (الخطاب فى ٢٧يولية)، أما مراد بك فبقي في الصعيد ولم يتمكنوا منه، والعديد من قادة المماليك لم يتم القضاء عليهم حتى لقوا حتفهم في مذبحة القلعة.

الخطاب السادس عشر

جيش إنجلترا[1]

القاهرة الكبرى في ٩ ترميدور

من R.Desgenttes

إلى المواطنة Desgenttes

فال دى جراس، شارع سان جاك باريس Val-De-Grace,Rue st. Jacques

أخيرًا أكتب إليك يا زوجتي العزيزة من القاهرة التي أعتقد أنها نهاية رحلتي.

سبق أن كتبت لك مرتين وأنا في البحر؛ مرة من مالطة، وأخرى من الإسكندرية. الفرص نادرة وغير مؤكدة بالنسبة لي، حيث لم أتلقّ أيًّا من خطاباتك، ولم يصلني أخبار وصولك لباريس.

سوف أقص عليك يومًا ما رحلاتي، المعارك التي شهدتها والمخاطر العديدة التي شاركت فيها.

عزيزي المنسّق والمرتب الرئيسي صديقي Sucy جُرح جرحًا خطيرًا بطلق ناري، وكذلك أيضًا الشاب Desnanotre Lannes الذي أوصاني به La Repede تم أسره بواسطة العرب.

شعب مصر وحوش مفترسة؛ البكوات أسيادهم، طغاة متكبرون. مماليكهم الذين هم صفوة فرسانهم طبقة متميزة لم

يواجهوا الجيش سوى بشجاعة غير مقدِّرة للعواقب. كل هذا تم هزيمته.

هنالك شيء أعجب به ويعجبني في الأتراك؛ هو إيمانهم بالقدر الذي يؤدى إلى نتيجة فى غاية الحكمة والتي تتمشى مع «ظروفي وملابساتي، وفنائي ونهايتي، قدري ومصائري».

لديهم هنا أيضًا طباع فريدة تمامًا؛ يمكنهم أن يكون لهم حتى أربع زوجات شرعيات، علاوةً على العشيقات. أنا أعرف كل هذا عن طريق الأحاديث المتناقلة. أما الذي أعرفه مؤكدًا فهو أنهم لا يشربون ـ إلا نادرًا ـ سوى الماء.

هناك كثير من الحكى قليل من أخبارنا.

إنهم لا يدفعون لنا يا زوجتي العزيزة؛ ولم أحصل على أي شيء منذ طولون. إضافةً إلى ذلك لست الأسوأ حالاً، حيث الكل إما نُهبت حقائبهم أو ألقيت في البحر وأنا احتفظت بكل شيء.

عند مغادرتي طولون أرسلت لكِ ٧٠٠ جنيه ـ أزيد قليلاً أو أقل قليلاً. Courtal كان مكلفًا بتوصيلها والذي أعتقد أنه فعل ذلك بواسطة مرسال. لا تنسى أن تكتبي لي أكثر من خطاب لأن الرسائل قد تُفقد أو يتم الاستيلاء عليها ... إلخ.

خطاب المواطن Girandi للقاهرة أفادني. وأنا أسكن الآن عند الطبيب المشار إليه، وقد قمت بضمه إلى الجيش.

القائد العام يعاملني دائمًا بطيبة. وآمل يا عزيزتي Lolotte أن أقابلك عندما تسمح الظروف بذلك.

قبّلي Julien ووالديك العزيزين وكل من نحب.

R.D

ملاحظات على الخطاب السادس عشر :

(١) الثورة الفرنسية تواجه معارك في شرقها نابليون ينتصر بشكل مبهر فيها، وتواجه عدوًا خطيرًا في غربها (إنجلترا)، ويقوم في الغرب الجنرال الشاب الشهير هوشه Hoche في فبراير ١٧٩٧م بمحاولة لإنزال قوات في أيرلندا لمساعدتها على الانفصال عن إنجلترا، فيمنى بخسائر فادحة هو وأسطول إسباني حاول مساعدته. لقب الجنرال هوشه الرسمي كان «قائد جيش إنجلترا».

حكومة الثورة استبدلته بنابليون القائد المنتصر ومنحته نفس اللقب، فقام بدراسة الأوضاع العسكرية لغزو إنجلترا من هولندا وشمال فرنسا، وتبين له أن غزو إنجلترا مخاطرة، فبرزت فكرة قديمة وهى محاولة خنق إنجلترا بحرمانها من الاستفادة من مستعمراتها في آسيا، وخاصة في الهند، باحتلال مصر.

ويظل نابليون يحمل لقب قائد جيش إنجلترا حتى ١٢ إبريل عندما غيَّرته الدركتوار إلى القائد العام لجيش الشرق [المرفق رقم٧]، لذلك فبعض أعضاء الحملة على مصر عملوا تحت قيادة قائد جيش إنجلترا السابق ويحملون أوراقًا عليها هذا الشعار.

الخطاب السابع عشر

رشيد في مصر

٩ ترميدور

أرجو يا صديقتي الجميلة أن يصلك هـذا الخطـاب، إنـني أرسـله لفرصة فريدة، وربما يكون الوحيد في كل ما كتبتـه لـكِ منـذ مالطـة والذي ستتسلمينه. بالنسبة لي لم أحظ منذ مغادرتي طولون باسـتلام خطابات لك. في نفس الوقت وصلت منذ ستة أيام سفينتان وحملتـا الكثير. أنا أفترض أن خطاباتك قد أرسلت على المركب التي استولى عليها الإنجليز. وعلى ذلك لا يجب عليَّ أن آمل في استلام خطاباتك قريبًا، الأمر الذي يصيبني بالقنوط، ووضعي قاسٍ جدًا لدرجـة أنـني سوف أنهار إذا تحقق هذا الأمر.

حاولي يا صديقتي الجميلة مداومـة الكتابـة حتـى أعـرف علـى الأقل أخبارك مـرة أو مـرتين. ويجـب عليـك أن تتـذكري أن قلقـي عليك سيكون كبيرًا.

لا أعلم ما هي وسائل معيشتك. لا يمكنني إرسال إلا القليل من المـال عـن طريـق الكـابتن Collot، وحاليًـا لـيس لـديَّ أي فرصـة للإرسال إليك. أنـا بعيـد عـن المـواطن Magallon بـ ٣٥ فرسـخًا. لذلك أتوقع بأنه قبل وصولي للقاهرة لن أستطيع ذلك. أعتقـد أننـا

جميعًا قد أخطأنا في تقديرنا لهذا المشروع بالغرور والتفاؤل بأنه طيب ومفيد للغاية. أعتقد كذلك أن النجاح في الاستيلاء على مصر سيسبب لنا الكثير من الآلام لكي تأتي هذه العملية بالثمار التي نتوقعها.

إننا نجد في كل مكان مقاومات كثيرة، إضافةً إلى العديد من الخيانات. إنه من المستحيل على أي فرنسي أن يتجول بمفرده على بعد مرمَى بندقية من المنطقة السكنية دون أن يتعرض لخطر أن يُقتل أو أن يكون ضحيةً لرغبة شنيعة شائعة بشكل كبير في هذا البلد وخاصة فيما يتعلق بالمماليك وعربان البدو. أنا أعرف العديد من الأشخاص، حتى في مدينة الإسكندرية، تم خطفهم عندما حل الليل وعانوا من هذا الأمر البشع.

رشيد أهدأ بكثير من الإسكندرية، والسكان بها أكثر وداعة. ونحن أقل عرضة للتعرض للخطر. ورغم ذلك فنحن نتخذ أكبر قدر من الحذر في تصرفاتنا، بصفة خاصة، مع أكبر قدر من الحراسة أيضًا، وبالصرامة في إدارة الأمور عامة.

هذا البلد لا يستحق سمعته التليدة. أكثر الأماكن همجية ووحشية في فرنسا، هى أحسن ألف مرة. لا يوجد في العالم ما هو أكثر كآبة ولا أكثر بؤسًا من الإسكندرية أكبر الموانى التجارية لمصر؛ منازل من الطين لا توجد بها نوافذ سوى تلك الفتحات المغطاة

بتعريشة من الخشب الجاف وفوق سقوف المنازل. الأبواب صغيرة لدرجة وجوب إزاحتها للدخول. أخيرًا يمكنك تصور مجموعة من أبراج الحمام القبيحة والمبنية بشكل سيء. يعطيك هذا صورةً عن الإسكندرية، الطرق كلها عرضها ضيق وغير مرصوفة مما يشكل مشاكل التراب والحرارة. وعندما يدفع خيال المواطنين لرش مياه متزايدة أمام عششهم، نصاب بما هو أسوأ؛ فالتراب يتحول إلى طين ويصبح بذلك المرور أكثر صعوبة.

كل شيء غالٍ جدًا ونادر جدًا، يضاف إلى ذلك صعوبة التفاهم وألف من المنغصاتٌ الأخرى. شرحت لك هذا وأترك الحكم لك على أحوالنا هنا.

رغم ذلك يجب الاعتراف بأنه منذ إقامتي في رشيد وأنا أقل بؤسًا؛ فالبلد لحد ما أكثر انشراحًا، النيل يمنحها شيئًا من الخضرة ومنظر من النخيل، ولو أنه ممل، حيث أنه هو النوع الوحيد من الأشجار التي نراها لتروِّح النظر قليلاً.

لا يوجد أي شيء يُلهي أو يشغل البال. وعلى ذلك يجب التوقع بأنه في مثل هذه البلد التي أنا فيها والقلق والاضطراب الذي نعانيه أن يكون علينا الدخول في نشاط كبير، وخاصة وأن الأهداف مقبضة، والفكر يتمشى ويتطابق مع هذا، ونحن نعيش تحت وطأة غم أبدي...[1].

ملاحظات على الخطاب السابع عشر :

(١) هذا خطاب غريب. فهو بدون عنوان وبدون اسم المرسل إليه، وبدون اسم الراسل، فلماذا أضيف لرسائل الكتاب؟! ليس به معلومات عسكرية أو استراتيجية، وربما الملفت هو الكتابة عن الاختطاف «وأن يكون المختطف ضحيةً لرغبةٍ شنيعة شائنة بشكل كبير...إلخ».

وصفه الكئيب للإسكندرية وهو موجود في رشيد ولا يصفها. ثم ينتهي بفقرة من التشاؤم، كما أنه لا توجد نهاية للكتاب.

كل هذا يدعونا إلى عدم استبعاد مقولة أن هذا الخطاب مدسوس ولا يوجد له أصل فرنسي.

الخطاب الثامن عشر

حلب في ٩ ترميدور

من Choderlos القنصل العام لجمهورية فرنسا في حلب وتوابعها

إلى وزير العلاقات الخارجية

الوزير المواطن ...

لقد كانت أول مرة نعلم فيها بالاستيلاء على مالطة في ٢٧ ميسادور، ورسوٍّ جيشنا البحري بالإسكندرية. هذا الخبر تم تأكيده منذ ذلك الحين عن طريق قبرص أو مواني قريبة منها. ولكن حتى الآن لم أتلقَّ أي تأكيد رسمي لهذا الحدث العظيم بشكل يجعلنا نطفو وسط العديد من الروايات المتناقضة التي تنتشر عن هذه الحملة[١]. والتي يبدو أنها تسببت فى اضطراب ليس فقط في قبرص ولكن أيضًا على كل الساحل السوري.

ودون محاولة منِّي أن أخترق أسرار الحكومة، فأنا أتعجب فى نفس الوقت؛ لأنه بمجرد أن تمت عملية الإنزال، فالجنرال أو على الأقل القنصل في الإسكندرية لم يوجها خطابًا دوريًا لقناصل البلدان المجاورة لتمكينهم من تهدئة روع الأتراك الذين علينا أن نتوقع ـ بلا شك ـ أنهم لن ينظروا بعين غير مهتمة أو آبهة لحملة بمثل هذه الجسامة[٢].

المشتمل والمحتوى المهدئ الذي التزمتُ به في هذه الحالة ساعد كثيرًا على تهدئة الفوران الأول الذي ظهر، ليس فقط لدى الأتراك، وإنما لدى غالبية الفرنسيين في المنطقة.

أقول لهم: «أيًا كانت المسألة فالهدف من هذه الحملة يجب أن لا يكون لديكم أدنى شك بأنها تحظى بموافقة الباب العالي، ولننتظر الأخبار الرسمية من هذه الحكومة أو تلك. حتى ذلك الحين، فلنقابل هذا الأمر بالتأكيد على ما نعلمه جميعًا عن العلاقات القديمة والعلاقات الطيبة والتي تقوم منذ أمد بعيد بين الدولتين».

وقد أظهرت فورًا النتائج التي ستتحقق للإمبراطورية العثمانية من الاستيلاء على مالطة بواسطة الفرنسيين. وفي الواقع فإن أنباء ذلك أفادت كثيرًا في التوازن مع آثار الغضب الذي أثارته معرفة جيراننا بتواجد قوات بهذا الشكل الهائل.

حاليًا حلبُ في هدوء تام، ولا يوجد خشية من أنه ستنتج أية تحولات مبالغ فيها يمليه عليها الذعر والذي يمكن للخوف أن يتخذه ويتبناه.

الباشا وكافة كبار البلد فى هدوء. إذا حدثت بعض الانفلاتات التي نخشى منها، فلن تكون تلك إلا بواسطة العمد وصغار الحكام، والذي يمكن لتعصبهم أن يدفعهم إلى أعمال مبالغ فيها. في مثل هذا الاحتمال لن أتعجب إذا لم يتقدم جنود الإنكشارية - الذين يحبوننا - لحمايتنا والدفاع عنا.

إنني أستغل هذه الوسيلة – الغير عادية – أيها المواطن الوزير لكي أبلغك بهذا التقرير المكتوب على عجل، منتهزًا الفرصة الوحيدة السانحة لقيام البريد الخاص بالوزير.....[٣] والذي يوجب كافة الاحتياطات الممكنة، وأيضًا كافة وسائل الخداع الممكنة والمتصورة لإنقاذ المظاهر التي يمكن أن تضع معوقات لإرسال خطابي هذا.

تحياتي واحتراماتي

J.Choperlos

بسبب ما ذكرتُ أخيرًا فإن المواطن Beauchamp لم يتمكن من الكتابة إليك؛ فالحزمة سوف تكون كبيرة لدرجة لا تمنع من إثارة الشك، وقد طلب مني أن أخطركم بأنه سيغادر بعد باكر إلى «التاكيا» حيث سيكون هناك للإشراف على السير قدمًا للأمام[٤].

ملاحظات على الخطاب الثامن عشر :

(١) استولى نابليون على مالطة في ١١ يونيـة. ونـزل مـصر أول يولية. والقنصل الفرنسي في حلب يقول أنه علم بذلك في ٢٧ يولية من أخبار وردت إليه. فهل حجبت عنه هذه المعلومات للحفاظ على سرية الحملة؟ أم لأن الثقة فيه مشكوك فيها؟ فأخوه LACLDS كان يترأس نادي اليعاقبة عام ١٧٩٠، وقـام بـدور بـارز في الثـورة؛ وكـان في ذلك سببًا لاتهامه بالخيانة وحكم عليه روبسبير بالإعدام ولكنه فر.

(٢) جزء هام من خطـة نـابليون كـان أن يقـوم Talleran وزيـر الخارجية - والمرسل إليه هذا الخطاب - فور استيلاء نـابليون علـى مصر بزيارة للباب العالي، وعقد اتفاق وتفاهم يسمح ببقاء نـابليون في مصر. ورغم الاتفاق على ذلك فلم يفعل الوزير أي شيء. وكان رأى نابليون أنه يمكن إقناع الباب العالي بالأمر الواقع. كـان الـوزير يحاول الحد من نجاحات نابليون على اعتبـار أن الهـدف كـان إبعـاده عن فرنسا. ومن المعروف أن الوزير تاليران هذا كان يحث ألكـسندر الأول على مقاومة نابليون وعدم الخضوع لطلباتـه وذلـك في مـؤتمر Erfurt. وهكذا تأكل الثورات رجالها.

(٣) ترك هذا المكان شاغرًا كما جاء في كتاب البحرية الإنجليزية.

(٤) نستغرب لأن هذا القنصل الفرنـسي في حلـب وتوابعهـا لا يذكر أي شيء عن الأسـطول الإنجليـزي الـضخم الـذى يجـوب في منطقة اختصاصه.

الخطاب التاسع عشر

القاهرة الكبرى

١٠ ترميدور العام السادس

من مساعد أدميرال Perree قائد أسطول النيل

إلى صديقه Le Joille رئيس قطاع وقائد السفينة Generreux[١]

رفيقي العزيز. أنتهز فرصة الـ Cisalpine– لكي أعطيك أخباري كما سبق أن أشرت بذلك في خطابي الأخير.

لقد وصلت إلى هذه المدينة بعد وصول جيشنا بيوم. وبعد أن عانينا كافة أنواع الصعاب الممكنة. لقد مكثنا حوالي ستة أيام ليس لدينا للأكل سوى البطيخ، وللتحلية ببطيخ كذلك. إطلاق النار يتوالى طوال اليوم من جانب الفلاحين والذين هم تحت قيادة أعراب أو بدو.

ولو أن هؤلاء يعرفون كيفية استخدام البنادق والتصويب لما عاد منا فرد واحد. حاليًا هم أكثر تعقلاً منذ أن أصبحت القاهرة لنا. إني أنظر في هذه الدقيقة للنيل الذي مؤكدًا يسمح لنا بالتراسل معكم.

سوف تتقبل بسرور خبر أنني رقيت إلى رتبة مساعد أدميرال أثناء المعركة بعد عملية يوم ٢٥. من المؤكد أنه لو كان لدينا سفينة مدفعية ثانية لما كان هناك أي تساؤل عن مصير أسطولهم. ورغم أنه كان

معهم ٧ ولدينا ٦ سفن - منها ثلاثٌ استسلمت واستولى عليها الأعداء - والذين كان لديهم الجرأة والجسارة للاستيلاء عليها وهم على بعد مبدسي. عند ذلك وجهت كافة قوتي لهدف إغراق سفينة مدفعية قائد أسطولهم وإجبارهم على الإفراج عن مدفعيتي التي استكملتُ استخدامها فورًا. كانت هناك علاوة على ذلك بطارية من ١٢ مدفع ميدان موجهة إليّ وقريبة للغاية.

القوات العسكرية كانت بعيدة جدًا، ولا تستطيع منحى أية معاونة. لقد بدأ الالتحام في التاسعة إلا ربع وانتهى بعد ساعة ونصف وقد هزمتهم قواتنا.

أؤكد لك أننا أخطأنا كثيرًا بالنسبة للملاحة في النيل. لا يمكن الإبحار فيه لأي سفينة غاطسها أكبر من خمسة أقدام في الوقت الذي أبحرت فيه. كذلك بالنسبة لخصوبة الأراضي التي اجتزتها. أعتقد أننا خُدعنا بشكل كبير.

إن السكان أكثر شراسة من المتوحشين. أغلب الراشدين منهم يرتدون الأسمال. في نهاية الأمر فالبلد لا تروق لى، ولذلك فبعد الألم وبعد السرور والانشراح فأنا في هذه اللحظة راضٍ سواء بالنسبة للطعام أو الانشراح. البكوات تركوا لنا عددًا من الأرمنيات والجورجيات الجميلات استولينا عليهن

مكسبًا شعبيًا. أرجوك يا صديقي أن ترسل لي برميلاً صغيرًا من النبيذ. ستدينني بفضلك.

صديقك

Em. Peree

أكرر صداقتي لكافة أصدقائي

ملاحظات على الخطاب التاسع عشر :

(١) المرسل إليه الخطاب Le Joille استطاع الخروج سـليمًا مـن معركة أبي قـير. وفـى طريقـه إلى كرفـور حطـم الـسفينة الإنجليزيـة Leander في معركة بحرية تفوّق فيها تمامًا.

الخطاب العشرون

القيادة العامة بالقاهرة الكبرى

العاشر من ترميدور

من Le Turco مساعد الجنرال «B» الذى هو رئيس أركان الحرب وجنرال الجيش[1] إلى Le Turco والده

منذ خطابكم بتاريخ ٢٣ فلوريال الماضي لم يصلني أيٌّ من أخباركم يا والدي العزيز. يجب عليكم أن تقدروا مدى قلقي. أنا لم أقصر بتاتًا من الاستفادة من كافة حملة الرسائل الذين بعثنا بهم لباريس من طولون ومالطة والإسكندرية بالإضافة إلى هذه المرسلة من القاهرة.

لن أصف لكم الوضع الذي نجد أنفسنا فيه في هذه البلد. ولكن لحسن الحظ بالنسبة لي فأنا أحظى بصحة طيبة، وأنا حتى يومنا هذا أحد ذوي الصحة السليمة في الجيش.

أنني أرغب بتلهف وشوق أن أكون قريبًا منكم لكي أضع أمامكم صورة صادقة للبلاد، والتي بعدها يمكنكم الحكم بدون عناء بأنه يجب علينا أن يكون لدينا الكثير من الغضب والتشكي.

أرفق مع هذا يا والدي العزيز[2] سردًا لما لاقيناه لدى مسيرتنا من الإسكندرية إلى القاهرة والمعارك المختلفة التي خضناها خلال

هذه المسيرة مع المماليك والبدو. وسوف يكون بذلك من السهل عليك الحكم على أوضاعنا في هذه الصحراء التي كانت سوف تؤدي إلى هزيمة الجيش، لولا نجده وصلت لنا في النيل في فرع يصب في الدلتا. وأنتهى إلى أني آمل دائمًا بأن أستمتع بسعادة لقائكم والسرد عليكم لهذا الحدث الغير عادي بنفسي وفي دياركم.

أنا لا أنكر أن كل هذا كان فيه منفعة لي كمحارب قديم، وأن أقوم برحلة بهذه الأهمية والخبرة والتجربة. ولكن بغض النظر عن هذه البلاد، والحرمان من كل شيء، الأمر الذي نتحمله، لا أخطئ القول بأنه إذا كانت هذه الرحلة ستبدأ من جديد بأنني كنت سأرغب في المشاركة فيها. أما الآن وقد تحملت أغلب المساوئ التي كانت تنتظرني فإنني مرتاح للقيام بها ومتابعتها حتى النهاية.

نحن في القاهرة منذ عدة أيام. ومن المحتمل أن نستريح فيها لخمسة عشر يومًا أخرى، بعدها من المتصور أن نوجه مسيرتنا نحو سوريا وفي اتجاه مصر العليا[٣]، وبالفعل غادرت إحدى فرقنا إلى دمياط.

لست في حاجة لأن أرجوكم إبلاغ هذا الخطاب إلى أقاربي وأهلنا وأصدقائنا، وبصفة خاصة إلى المواطن والمواطنة Berthe وإلى أخي التاجر وعمي Le Turco، وفى النهاية لكافة الأهل. وقل لهم إنني أُقَبِّلهم من كل قلبي وفي انتظار رؤيتهم إذا أمكنني ذلك في غضون ستة شهور[٤].

الجنرال Berthier يكتب لكم عن طريق نفس المراسل إلى والده. كذلك يفعل L'huillier الذي تم ترقيته اليوم إلى مساعد ملازم في السَرية رقم ١٤ للتنانين.

أرجو أن توافيني الكثير من أخباركم والعائلة كلها، ولا تنس التنين(٥). أرجو أن يكون في سرعة عودتي للفقدان الذي لاقاه لغيابي في هذه الرحلة الطويلة والتي أنا مجبر على الاستمرار فيها. ولكن قل له أنه لن يفقد شيئًا بانتظاره حيث أن الجنرال Berthier قد وعدني بكل شيء له. وهو شخص ـ بالتأكيد ـ يحافظ على وعده.

أقبلكم جميعًا ألف مرة. المخلص لك دومًا

ابنك

Le Tuerco

أرجو إخباري إذا كان لديك أخبار عن Cesar Berthe المتواجدفي ميلانو أو باريس.

ملاحظات على الخطاب العشرين :

(١) المقصود بحرف «B» هو الجنرال Berthier وهو المسئول عن الجيش. بينما المسئول عن الأسطول Bruys، وكلاهما تحت قيادة Bonaparte.

(٢) غير واضح لنا لماذا لم تنشر البحرية الإنجليزية سردًا لهذه المعارك العسكرية المرفق مع هذا الخطاب.

(٣) ما يعنينا هنا هو بدء التمهيد ذهنيًا للجيش بأن ثمة اتجاه لبناء إمبراطورية في المنطقة تبدأ بمصر .

(٤) كيف يتصور العودة التي يأمل أن تكون في خلال ستة أشهر، والأوضاع العسكرية لم تستكمل وتستقر، والتفكير في سوريا لم يبدأ تنفيذه، ونيلسون ما زال يبحث عنهم.

(٥) التنين حيوان خرافي يوصف بالقوة المرعبة. وقد اتخذ الاسم لاستخدامه عسكريًا على من له هذه الصفات الجبارة.

الخطاب الحادي والعشرون

من القاهرة الكبرى

في ١٠ ترميدور

من مساعد جنرال Boyer

إلى القائد العام لجيش إنجلترا[١]

جنرالي ...

دخولنا القاهرة الكبرى سيكون له بلا شك انفعالات مثل التى تكون لحدث نادر. ولكن عندما تتبين نوعية العدو الذي فزنا عليه وقلة مهارته التي جابه بها إمكانياتنا إضافة إلى عدم كفاءة عملياتهم فلن ترقى هذه الحملة وانتصارنا فيها إلى مستوى عمل غير عادي[٢].

لقد بدأنا المواجهة بهجوم حيوي على مكان غير محصن كانت حاميته مكونة من ٥٠٠ من الإنكشارية لديهم صعوبة في استخدام بنادقهم. أنا أحدثك عن الإسكندرية، بلدة صغيرة مكشوفة من كافة الجهات، والتي من المؤكد أن لا تتمكن من مقاومة قوة مكونة من خمسة وعشرين ألفاً من الأفراد يهاجمونها في نفس الوقت. مع ذلك لم نفقد سوى ١٥٠ فردًا. والذي كان من الإمكان تلافى ذلك عند تمكننا من السيطرة على هذا المكان. ولكنه كان من الضروري مفاجأة العدو. ثم قمنا بمهاجمة المماليك، وهم أفراد شجاعتهم مشهود لها في مصر، هؤلاء الجنود ليس لديهم أية فكرة عن التكتيك.

ولا يعرفون عن الحرب سوى الدماء التي تكسو دروعهم. لقد ظهروا وواجهوا قواتنا أول مرة في ٢٥ ميسادور. منذ بداية فجر هذا اليوم أظهروا كامل قواتهم التي طافت حول جيشنا مثل القطيع بخطوات متقاربة أو جري سريع ١٠ أو٥٠ أو١٠٠ لقد ظهروا بمظهر يدعو للسخرية أكثر منه للتعجب. حاولوا الهجوم عشرين مرة، ولكن عندما وجدوا أن جهودهم قوبلت بمقاومة لم يكونوا يتوقعونها، أمضوا وقتهم في إبقائنا تحت وطأة شمس محرقة. ولو تجرأنا بدرجة كافية هذا اليوم ربما لتقرر مصيرهم. ولكن الجنرال بونابرت أجل ذلك حتى يتعرف على عدوه ويتبين له طريقة محاربته. انتهى اليوم بتراجع المماليك الذين فقدوا ٢٥ منهم. واستمررنا في مسيرتنا على ضفاف النيل حتى يوم ٣ ترميدور. لقد وضع هذا اليوم نهاية مؤكدة لسطوة المماليك في مصر[٣]. أربعة آلاف من الخيالة، لدى كل منهم واحد أو اثنان من الخدم يواجهون جيشًا من الصفوة. هجومهم كان مجرد هياج شديد وغضب ويأس وقنوط.

لقد هاجموا Desaix و Regnier في أول الأمر. ثم فورًا انعكست جهودهم، فجنود هذه الفرق واجهتهم بثقة، فتحوا نيران بنادقهم وهم على بعد عشر خطوات من قدومهم مما ترتب عليه سقوط ١٥٠ على الأرض. ثم حاولوا الهجوم على فرقة Bon فلاقوا نفس المصير. وفي النهاية بعد عدة محاولات فاشلة، بدأوا في الفرار يحملون معهم نفائسهم ويتجهون اليوم صوب مصر العليا.

منحنا هذا النصرُ مدينة القاهرة الكبرى التي نحن فيها منذ مساء الرابع من الشهر. من الواجب تفهم لغة البلاد وعلاوة على ذلك أسرار الكبراء لكي أعطيك فكرة عن الثروات والإمكانيات التي وجدناها في هذه المدينة[٤]. ورغم ذلك أعتقد أن هناك شكاوى ومطالبات لعديد من الجنرالات ومناداة بالعودة إلى فرنسا[٥] مما يبين أن هناك عدم رضى كبير داخل الجيش بصفة عامة. فمن الصعب تصور الصعوبات والمشاق التي عاناها الجيش خلال مسيرته لمدة ١٧ يومًا لا يجد أي خبز ولا أي نبيذ، وعشنا على البطيخ والقرع والدواجن ولحوم الجاموس ومياه النيل[٦].

هكذا كانت عزيزي الجنرال بشكل مختصر عملياتنا. وقد بدأ الحديث على السيطرة على مصر حتى شلالات النيل ومثل هذه المسيرة والاتجاه سوف تتسبب فى العديد من الاستقالات.

أرجو أن تتقدم بخالص احترامي إلى مدام Kilmaine

مرؤسك

Boyer

أرجو أن تذكرني لزملائي Rivaud و D'arbois و Villard

ملاحظات على الخطاب الحادي والعشرين

(١) ترك نابليون هذا المنصب – كما سبق وأن ذكرنا – عندما عُين رئيسًا لجيش الشرق وكُلف بالحملة على مصر. و Boyer يكتب لقائد جيش إنجلترا Kilmaine مسميًا إياه (جنرالي) ثم يوقع الخطاب (مرؤوسك) ويرسل تحياته لزوجة الجنرال.

(٢) واضح أنه يستهزئ ويسخر من معارك الحملة وقائدها.

(٣) يقول إن المماليك انتهت سطوتهم. وهو يذكر أن أعدادهم أربعة آلاف من الخيالة، لكل منهم مساعدان أو ثلاثة، وأن ١٥٠ من هذه الآلاف قُتلوا منهم عندما هاجموا ثلاثة من الجنرالات الفرنسيين. ولكنه لا يذكر أين تمت هذه المعارك ولا عدد القتلى فيها من الفرنسيين.

(٤) ربما يقصد كنوز الفراعنة إضافة إلى ممتلكات المماليك.

(٥) هنا يتضح أنه يتم تقييم الثروات الموجودة في مصر، وأن هنالك مطالبات وشكاوى رغم ذلك من الجنرالات، ويهددون بالعودة إلى فرنسا أو الاستقالة خاصةً إذا طولبوا بالسيطرة على مصر، والتي سبق أن قال إن نهاية المماليك قد تأكدت.

كل هذا ولم يمض على وصول الحملة إلى مصر حتى كتابة هذا الخطاب أقل من شهر.

(٦) الجيش يعاني من أكل القرع والدواجن واللحوم والبطيخ لأنه لا يجد النبيذ.

الخطاب الثاني والعشرون

من القاهرة الكبرى

العاشر من ترميدور

والدايا العزيزان

دخولنا القاهرة الكبرى مناسبة بالنسبة لي لكي أعطيكم أخبارنا، حيث أنوى أن أضعكم تمامًا أمام الأحداث الخاصة بجملة فريدة في نوعها ومذهلة. سأسرد عليكم كافة كبار العمليات التي قمنا بها منذ رحيلنا من طولون.

الجيش مكون من ٣٠٠٠٠ فرد. اعتلوا السفن في مرسيليا وطولون وجنوة وسفيتافشيا، وأبحروا يوم ٣٠ فلوريال في قافلة مكونة من ١٥ سفينة حربية منها اثنتان خفيفتا التسلح و١٤ فرقاطة والعديد غير ذلك من السفن الحربية الصغيرة.

القافلة كلها تشكل ٤٠٠ مركبًا. ومنذ الحروب الصليبية لم يتواجد جيش مماثل لذلك في البحر المتوسط[1].

دون التحوط للمخاطر ولا للعوامل التي نبحر فيها، ولا لعدو شديد البأس في المياه يمكنه أن يرعبنا، أقلع الجيش نحو جزيرة مالطة التي وصلنا إليها في ٢٢ برايريال.

هذا الغزو الهام جدًا في حد ذاته لم يكلفنا إلا عددًا قليلاً من الأفراد.

ولقد استسلم هذا الموقع يوم ٢٤، وأبيد نظامه، وحاكم البلاد طُرد إلى ألمانيا تصحبه وعوده الجميلة. في النهاية تحققت أمنياتنا[٢].

علينا عدم إضاعة الوقت، ولا الانشغال كثيرًا في التفكير والتأمل في المميزات التي سنستخلصها من احتلال مالطة؛ فأسطول إنجليزي قوي مكون من ١٣سفينة رهيبة يقودها نيلسون يرسو في مياه نابولي يرصد تحركاتنا[٣].

بونابرت، وقد أُخطر بتواجد العدو، أجهد أسطوله وغيَّر وقت إبحاره وأصدر أمره بسرعة الإبحار، وفي ٣٠ برايرال خرجت الحملة من مالطة ونشرنا قلوعنا لنسرع إلى تحقيق الهدف الثاني للحملة.

في ٧ مسيدور ظهرت لنا جزيرة Candie، وفي ١٢من الشهر أشارت مراكبنا الخفيفة إلى الإسكندرية. فى نفس اليوم بعد الظهر، وصل أسطول الأدميرال نيلسون أمام ميناء هذه المدينة، وطلب من الأتراك أن يرسوا في مينائهم للدفاع عنهم ضدنا. وبرفض هذا العرض رحل الإنجليز متجهين صوب قبرص. بينما استفدنا نحن من كل أخطائه واستغللنا عدم كفاءته وأنزلنا قواتنا من ١٣ إلى ١٤على Marabou أو برج العرب، وعند الفجر كانت كافة القوات قد نزلت إلى البر.

سار بونابرت في المقدمة مباشرةً إلى الإسكندرية عابرًا صحراء من ثلاثة فراسخ لا توجد بها أية مياه للشرب في جوٍّ الحرارة فيه لا تحتمل.

رغم كل هذه الصعوبات وصلنا إلى أسفل سور لقلعةٍ بها حوالي ٥٠٠ من الإنكشارية للدفاع عنها. أما باقي سكان المدينة فقد اندفعوا إلى الحصون، وبعضهم اعتلى أسطح المنازل. وبهذا الوضع انتظروا هجومنا.

دقت الطبول للقتال وتقدم جنودنا بشجاعة وحمية فوق الأسوار والمتاريس رغم الدفاع العنيد للهجمات. كثير من الجنرالات جُرحوا من بينهم كليبر.

لقد فقدنا ما يقرب من ١٥٠ فردًا .. ولكن الشجاعة وضعت حدًّا لعناد الأتراك. الذين تفرقوا من كل جانب ولجأوا إلى ربهم وإلى نبيهم وانتظروا في جوامعهم. رجالاً ونساء شيوخًا أو أطفالاً، الجميع تم ذبحهم[٤].

خلال أربع ساعات وضع جنودنا نهايةً لهياجهم وانفعالهم وعاد الهدوء للمدينة، وسُلمت عدة قلاع. وقد سُلمت لي أنا شخصيًا إحداها، وكان بها ٧٠٠ تركي انسحبوا، وعادت السكينة في النهاية للمدينة، وفي اليوم التالي كان كل شيء هادئًا.هنا دقيقة تستوجب الاستطراد قليلاً والخروج عن الموضوع لكي أضعكم فى واقع الأمر من إرسالنا لهذه الأرض وتعهد وارتباط بونابرت بالاستيلاء قسرًا على مصر.

إن فرنسا نتيجةً لتطورات هذه الحرب ولثورتها، وفقدها لمستعمراتها

ومنشآتها الاقتصادية، سوف ترى من المؤكد تدهورًا لاقتصادها، وشعبها النشيط سيضطر فى نهاية الأمر إلى التعامل في أهم أمورهم التجارية بأشياء مستعملة. احتمالات عديدة تبدو مستحيلة على الحكومة ما لم تستعد مستعمراتها أو على الأقل استخلاص الميزات التى كانت لنا، وخاصةً بعد التخريب والفظائع التى ارتكبت تمشيًا مع قانون الإلغاء(٥) ولتعويض ضرر يكاد يكون حقيقي وواقعي، فقد وضعت الحكومة نُصب عينها على مصر وعلى سوريا. إقليمين بسبب طقسهما وطيب أراضيهما، يمكن أن يصيرا مركز غلال للتجارة الفرنسية. إمكانياتهما التجارية متعددة، وبالتالي مراكزهما الخاصة بالتجارة مع الهند.

لذا من الضروري بعد أن نكون قد استولينا ورتبنا أمورنا في هذه البلد أن نبادر بإلقاء نظرنا أبعد من هذا، وبالتالي إضعاف التجارة الإنجليزية فى الهند واستغلالها لصالحنا، وبالتالي نصبح المسيطرين على التجارة في كل من أفريقيا وآسيا. كافة هذه الاعتبارات أجبرت الحكومة - كما أعتقد - على اتخاذ قرار القيام بحملة على مصر.

هذه المنطقة تدخل في النفوذ العثماني، الذي يحكمها منذ العديد من القرون بواسطة نوعية من الأفراد يسمونهم المماليك. والذين يرأسهم البكوات. هم لا يعترفون بسلطة الحاكم الكبير، يحكمون

بشكل استبدادي جائر وطاغٍ بلداً وسكاناً لو كانت في يد دولة نظامية لكانت منبعًا للثراء. لهذا وجبت الحرب ضد المماليك للاستيلاء على مصر.

أعدادهم تقارب ٨٠٠ وكلهم فرسان، ويقودهم ٢٤ بك[٦] من الهام أن تعرفوا ولو بقدر قليل من هؤلاء الجنود، أسلوبهم في الحرب، نوع سلاحهم وأصلهم.

كل مملوك يتم شراؤه - وكلهم من جبال القوقاز أو جورجيا - وبينهم كثيرون ألمان وروس، بل أيضًا بعض الفرنسيين. ديانتهم الإسلام. يدربون منذ طفولتهم على الفنون العسكرية. وهم على مهارة غير عادية في الفروسية وإطلاق البنادق والمسدسات والطعن بالرماح والعديد من الأسلحة والسيف. ويمكنهم أن يقطعوا حزمة من القطن المبلل بضربة سيف واحدة. ولكل مملوك خادمان أو ثلاثة وأيضًا أربعة. وهؤلاء يتبعونهم دائمًا سيرًا على الأقدام حتى أثناء المعركة. وسلاح المملوك الفارسي بندقيتان كبيرتان يحملها كل من خدمه قريبًا منه، ولا يتم إطلاقها سوى مرة واحدة. يضاف إلى ذلك مسدسان يحملهما حول خصره. كذلك ثمانية من الأسهم يحملها في جعبة، والتي يقذفها بقوة ومهارة بيده. هذه هي أسلحته لإزهاق الأرواح. وفى نهاية الأمر يلجأ إلى سيفيه. فهو يمسك بلجام حصانه بين أسنانه وبسيف فى كل من يديه يكرُّ به على عدوه ويطعن يمينًا

ويسارًا ويصيبه، والويل لمن لا يتلافى ضرباته. لقد قام بعضهم بشطر فرد إلى جزئين، علينا القيام بحرب ضد هذا النوع من الأشخاص[٧].

أريد في الواقع الدخول في تفاصيل القتال الذي عانيناه من هؤلاء.

بعد أن نظمنا قوة حاكمه في الإسكندرية[٨] وأمّنّا اتصالاتنا بمؤخرة جيشنا، جهز بونابرت مؤنة خمسة أيام لجيشه استعدادًا لعبور صحراء تبلغ مساحتها ٢٠ فرسخًا لكي يصل إلى ميناء النيل[٩] ومتابعة النهر الشهير حتى القاهرة الكبرى والتي هي الهدف الأول لعملياته. وفي ١٧ ميسيدور بدأ الجيش مسيرته متتبعًا هذا النهر لعدة أيام قليلة مقابلين عدة جماعات من المماليك التي تابعت الفرار كلما تقدمنا. وفي النهاية يوم ٢٤ أخذ الجنرال علمًا بأن البكوات سيهاجمونه بقواتهم المتحدة، وأن ذلك سوف يكون باكر، فرتب قواته المحاربة واتخذ عدة احتياطات.

أرسلني بونابرت مع ثلاث فلوكات مدفعية لاكتشافهم. وقد تقدمت بهذه المراكب ثلاث فراسخ أمام الجيش. نزلت على التوالي إلى كافة القرى الواقعة على شاطئ النيل للاستعلام عن المماليك، وفي هذه القرى كانت تقابلني دفعات من النيران، وفي البعض الآخر حضروا أمامي وقابلوني مقابلة حسنة وقدموا لي بعض المؤن. في

إحدى هذه القرى حدثت واقعة غريبة وفريدة. شيخ البلد الذي جمع كافة الأهالي للمثول أمامي، اقترب مني وسألني «بأي حق جاء المسيحيون للاستيلاء على بلاد تخص الباب العالي»؟ فأجبته بأن هذه إرادة الله ورسوله محمد التي تقودنا. فرد عليَّ: ولكن كان من الأجدر على ملك فرنسا - على أقل تقدير - إبلاغ سلطاننا بهذه العملية[١٠]. بعد أن قمت بتأكيد ذلك بشكل إيجابي، سألني: كيف حال مليكنا؟ أجبته بأنه في خير حال. بعد ذلك أقسم على عمامته وعلى ذقنه بأنني أتواجد وسط أصدقاء. لقد انتهزت فرصة طيب خاطر هؤلاء القوم وحصلت على كافة الترتيبات الخاصة بالمماليك، ثم استمررت في طريقي فوق سطح النيل وقضيت الليل في مواجهة قرية Chebriki[١١] التي هي مدينة تقع على شاطئ النيل، وحيث تجمَّع المماليك وحيث كان الاشتباك الأول.

أرسلت في المساء تقريري للقائد العام والذي نقل له كل ما أمكنني جمعه عن المماليك. وفي فجر اليوم التالي صعدت على صاري مدفعيتي واكتشفت ٦ زوارق تركية طويلة تتجه لمهاجمتي. في نفس الوقت وصلتني فلوكة شراعية للمساعدة. توجهت نحو هذه السفن. وفي الساعة الرابعة والنصف بدأ الالتحام بمعركة مدفعية بين أسطولين صغيرين استمرت خمس ساعات. ورغم تفوق العدو، فقد أبليت بلاءً حسنًا. في هذه الأثناء تفوقوا

عليّ. وفى لحظة فقدت الفلوكة الشراعية وسفينة مدفعية، لكن لم نر في الاستسلام سبيلاً، يجب أن ننتصر. وأثناء هذه الدقائق من الشك والتردد، تقدَّم جيشنا وأنقذني. سفينة مدفعية تركية انفجرت في الهواء.

هكذا مرت معركتنا البحرية. في هذه الأثناء هاجم المماليك جيشنا. يطوفون حوله دون أن يتمكنوا من الشروع في التشابك، ودون أيضًا إمكانية إحراز أي هجوم مؤثر عليه. من المتصور أنهم اندهشوا وذُهلوا من التنظيمات التي شاهدوا طوابيرنا تقوم بها. أجلوا إلى يوم آخر مصير إمبراطوريتهم وحظهم.

هذا اليوم أدى إلى عدة نتائج. فالمماليك فقدوا من المحاربين ٢٠ أو٣٠ فردًا. أما نحن فقد حصلنا على ميزة كبيرة، وهي إيحاؤنا لهم بفكر غير عادي عن تكتيك لعدو لا يعلمون عنه أي شيء. لا يعرفون عن الحرب غير أنها ليست سوى أسلحة ماضية وإقدام ببراعة ورشاقة، بدون أي ترتيب أو أي تنظيم وتنسيق. لا يعرفون كيفية السير في كوكبة عسكرية، يتقدمون في زمرة واحدة ويهاجمون عدوهم في جحافل شاردة هوجاء[١٢].

لقد تراجع المماليك وتركونا نوالي التقدم نحو القاهرة الكبرى حيث ستكون العمليات التي ستقرر كل شيء.

أخيرًا في ٣ من الشهر في الفجر تواجد الجيش على بعد ثلاثة

فراسخ من القاهرة وخمسة من الأهرامات العظيمة المشهورة. في هذا الموقع كان المماليك بقيادة مراد بك أهم البكوات ينتظروننا.

مضى اليوم حتى الساعة الثالثة بعد الظهر في مناوشات. وأخيرًا حلَّت الساعة الفاصلة. جيشنا على يمينه الأهرامات، وفى اليسار النيل[١٣] قرب قرية إمبابة. تم رصدُ تحركات يقوم بها العدو كانت في الواقع ألفان من المماليك ينتظمون صوب اليمين حيث يوجد كل من الجنرال Desaix والجنرال Regnier، لم أر قط جنودًا تهجم بهذه الشراسة، أهملوا كل شيء في سبيل سرعة انطلاقهم. كوَّنوا وحدة عاصفة هبت على القوات واخترقتها فى الوسط. جنودنا ثابتون لا يتزعزعون، انتظروهم حتى صاروا على بُعد عشر خطوات ثم واجهوهم بنيران مستمرة يشاركها عدة طلقات مدفعية. وفى لمح البصر قتل مائة وخمسون مملوكًا. الباقون يرجون النجاة بالهروب. مع ذلك أعادوا الكرَّة مرة أخرى بهجوم، فقوبلوا بنفس الأسلوب، ردتهم شجاعتنا، فاتجهوا نحو جناحنا الأيسر بحثًا عن فرصة ثانية. شجع نجاح ميمنتنا بونابرت؛ فالمماليك كانوا قد تحصنوا بسرعة فى قرية إمبابا التي تقع على الضفة اليسرى من النهر، حيث وضعوا ثلاثين قطعة مدفعية وخدماتها وعددًا من الإنكشارية للدفاع عن كل ما تقدم. أعطى الجنرال الأمر بالهجوم على هذا التحصن بفرقتين لتقوما بذلك ورغم وجود مدفعية فظيعة. وفي اللحظة التي كان

يستعد فيها جنودنا لاتخاذ خطوة الهجوم على هـذا التحـصين خـرج منه ستمائة مملوك حاصروا فرقنا، وهم يحملون سيوفهم. ولكن بدل أن ينجحوا قابلهم الموت. ثلاثمائة وقعوا قتلى في لحظة على سـاحة المعركة، والآخرون رغبةً في الفرار ألقوا بأنفـسهم في النيـل وغرقـوا جميعًـا فاقـدين للأمـل، وهربـوا لكافـة الجهـات وأشـعلوا النـار في أسطولهم وفجَّروا كـل الـسفن، وتركـوا لنـا معـسكرهم وأكثـر مـن أربعمائة جمل محمَّلة بالمتاع(١٤).

هكذا انتهى هذا اليوم في غـير صـالح عـدو تـصوَّر أن سـيبتزنا ويهشمنا مدعيًا بأن قطع رؤوس آلاف من الفرنسيين أكثر سهولةً من قطع قرعة أو بطيخة (وهذا تعبير آسيوي)، وتقـدم الجـيش حتـى في المساء صوب الجيزة مطاردًا لمراد بك.

في اليوم التالي عبرنا النيل على مراكب مسطحة، وسلَّمت مدينة القاهرة بدون مقاومة.

هنا ينتهي وصف عملياتنا الحربية، وأنتقل لواقع الصعوبات التي عانيناها أثناء مسيرتنا، وأضع لكم بيانًا صغيرًا عن البلاد الـتي طفنـا بها وسكانها.

فلنعد إلى الإسكندرية. هذه المدينة لم يبق لها من التاريخ سوى اسمها. (عدة كلمات مطموسة) من المدهش أنها تظل مدفونـة أو مجهولة وسط شعب يصعب عليه أن يعي أنـه متواجـد. تـصوروا

فقد الإحساس بكافة الأحداث التي تصيبهم. لا شيء يدعو حتى للدهشة. الغليون في فمه، لا عمل له سوى أن يكون على مدخل زقاقه أمام بابه فوق دكة أمام بيته أو أمام منزل لشخص كبير ممضيًا يومه هكذا، لا يهتم كثيرًا بعائلته وأولاده، أو الأمهات المتجولات في أشكال مغطاة بخرق سوداء بالية، يقدمن للمارة سلعهن وأبناءهن. رجالٌ شبه عراة حيث تبدو أجسادهم شبه البرونزية وجلودهم المقززة، ملطخين بطين يقطر منهم، مشابهين للخنازير، يلتهمون أي شيء يجدونه. المنازل بارتفاع ٢٠ قدمًا أو أكثر. سقوفها مسطحة وفي داخلها حظيرة بهائم يحيط بها من الخارج ما يُشبه جزءًا من سور.

هكذا هي منازل الإسكندرية. أضف إلى هذا أنه وسط هذا البؤس والشناعة توجد أهم وأشهر ما عرفه التاريخ وأندر وأغنى الآثار الفنية.

خروجًا من هذه المدينة لركوب النيل تقابل صحراءَ خاوية كراحة اليد، ولمدة أربعة أو خمسة فراسخ حتى تجد بئرًا سيئة مياهها آسنة. تصوروا جيشًا مضطرًا إلى المرور أو عبور هذه الأراضي القاحلة والتي لا تمنح للجندي أية حماية ضد سخونة لا تُحتمل تُفرض عليه.

الجندي يحمل عتاد خمسة أيام في حقيبته، ويرتدى ملابس من

الصوف[١٥]. خلال السير والإرهاق فوق طاقته من السخونة والأحمال وما يرتديه، فإنه يتخلى عن كل شيء، ويلقي بحمولته، ولا يفكر إلا في الوضع الراهن، لا يفكر في باكر، ناله العطش ولا يجد الماء، الجوع، عدم وجود خبز.

علاوةً على البؤس والبشاعة التي تقدمها هذه الصورة فلقد رأينا جنودًا يموتون من العطش، ويسقطون من الجوع، ومن الحرارة وغيرها، ورؤية العذاب الذي يعانى منه رفقائهم. انتحر بعضهم بإطلاق النار على رؤوسهم. وقام آخرون بإلقاء أنفسهم وبما يحملون في النيل وغرقوا في مياهه. كل يوم في مسيرتنا يقدم لنا مشهدًا رهيبًا والأمر الذي لا مثيل له ولا يمكن لأي شخص أن يصدقه بسهولة هو أن الجيش كله أثناء مسيرة لمدة ١٧ يومًا لم يتناول أي خبز، وتعايشت الجنود على القرع والبطيخ والدجاج وبعض الخضار الذي وجدوه في قرية. هكذا كان الغذاء للجميع من الجنرال إلى آخر جندي. وكثيرًا ما صام الجنرال نفسه ١٨ ساعة و٢٤ ساعة ذلك لأن الجنود هم أول من يصل إلى القرى ويستولون على كل ما يُسلب، ولذا كثيرًا ما كان عليه الاكتفاء بما يتبقى.

من غير المجدي التحدث إليكم عن الشراب؛ نحن نعيش كلنا هنا تحت شريعة محمد التي تُحرم النبيذ. وبعكس هذا توفر لنا بغزارة مياه النيل.

ربما عليَّ أن أحدثكم عن البلاد التي تقع على فرعى نهر النيل؛ لكي أعطيكم فكرة عادلة وصائبة يجب الدخول في مجال جغرافية هذا النهر.

على بعد فرسخين أسفل القاهرة ينقسم إلى فرعين يهبط أحدهما إلى رشيد والآخر إلى دمياط، وبين مياههما توجد الدلتا؛ أرض غير عادية الخصوبة ترتوي بالنيل. وعلى امتداد الفرعين على ضفاف الشواطئ تجمعات من القرى والتي غالبًا ما تكون إما تزيد عن فرسخ أو تقل عن ذلك. أبعد من هذا سوف تدخلان إلى الصحارى التي تتجه إلى ليبيا، أو على تلك المؤدية إلى مرتفعات تتجه إلى البحر الأحمر.

الزراعة من رشيد إلى القاهرة كثيفة وتنتج الكثير من الأرز والقمح والعدس والقمح التركي. القرى تداخلت مع بعضها أبنيتها مقيتة ـ وهذا أمر آخر ـ مبنية بالطين المعجون بالأقدام وبالأيدي مكوَّم فوق بعضه ومفرَّغ من الداخل. ولكي أعطيكم فكرة أكثر مصداقية؛ هل تذكرون أكوام الجليد التي يكوِّنها الأطفال عندنا ويشكلونها؛ إنها تشبه تمامًا قصور المصريين. الزراع يُسمَّوْن بصفة عامة Fellah ، وهم يعملون بغاية الجهد، ويعيشون على القليل من الأشياء وفي قذارة مفزعة، لقد شاهدتهم يشربون مما تركته جمالي وخيلي في المسقى.

هذه هي مصر التي ذاع صيتها، ومجّدَها المؤرخون والرحالة. ووسط هذه البشاعة مما نتحمله من مصاعب وبؤس والتي تجشمها الجيش، ما زلت مقتنعًا بأن هذه البلاد هي الأكثر قابليةً لإعطائنا كفرنسا مستعمرة تكون مكاسبها غير محدودة، لكن الأمر يستلزم وقتًا ورجالاً. وأنا أؤكد أنه ليس بالجنود تُصنع المستعمرات، وخاصةً تلك التي تخصّنا، ولغوهم وكلامهم... (١٦). Apperce إنهم فُظَّاع في المعارك، فُظَّاع بعد الانتصار، ولا يتناقض هذا مع القول بأنهم أكثر جنود العالم بسالةً وإقدامًا، إلا أنهم غير مؤهلين لحملات بعيدة. إنهم يعملون، ويردون بجفاء وبكلام تافه، مناقضين لذاتهم، أنذال حتى فيما بينهم.

لقد سمعناهم يقولون ـ عندما يشاهدون جنرالاتٍ يمرُّون بهم ـ «ها هم جلادو الفرنسيين» وألف غير ذلك من نفس النوع.

لقد سكبتُ الكأس وسوف أحتسيها حتى الثمالة: لديَّ المثابرة، لديَّ صحتي، لديَّ الشجاعة والتي آمل أن لا تفارقني. بهذا سأصمد حتى نفاد صبري.

لنتحدث قليلاً عن القاهرة الكبرى أيضًا. هذه المدينة عاصمة مملكة لا توجد لها نهاية (هكذا يسميها علماء البلاد)، وهي تحتوى على ٤٠٠٠٠٠ شخص. تركيبها على هيئة ممر طويل مكدس بالمنازل

المكوَّمة بعضها فوق بعض بدون نظام وبدون تخطيط وبدون تنسيق.

السكان متشابهون، وهم مثل أهل الإسكندرية في عدم الفهم، وعلى درجة عالية من الجهل، حيث ينظرون بإعجاب لمن يعرف القراءة والكتابة. هذه المدينة - كما ذكرت - مع ذلك مستودع جمركي ومركز رئيسي للتجارة يستحق الاعتبار. حيث هنا تصل قوافل مكة، وتلك التي تأتى من الهند (في خطابي الأول كانت لديَّ فرصة للحديث إليكم عن هذه القوافل).

لقد حظيتُ أمس بمقابلة الديوان الذي كوَّنه الجنرال بونابرت. وهو يتكون من تسعة أشخاص. لقد شاهدت تسعة أصنام ثقيلة الفهم، ترتدي الملابس التركية، وعمامات مهولة، وذقونًا، وملابس تذكرني بصورة الإثنى عشر حواريًا التي يحتفظ بها والدي في المكتب. أما بالنسبة للعقل أو المعرفة أو النبوغ أو المواهب فلن أذكر لكم شيئًا عنها، فهذا الجزء غير موجود لدى الأتراك. قدر مهول من الجهل، وقدر مهول من الغنى، وقدر مهول من السوء والفساد واستغلال الخيرات(١٧).

نكتفي بهذا القدر في هذا الفصل. لقد أردت أن أقدِّم لكم وصفي، وإذا كان به نقصٌ أو سهو لبعض الأمور فإن تقارير الجنرال بونابرت ستعرض ذلك.

لا تقلقوا بشأني؛ الحقيقة أنني أعاني، ولكن الجيش كله يعاني، لقد وصلت حاجاتي. أنا في وسط متاعبنا هنا لديَّ كافة ميزات الحظ. كونوا هادئي البال، فأنا أتمتع بصحة جيدة. اهتموا بصحتكم. سوف يكون لي سعادة أن أقبلكم قبل عام[١٨].

أُقَبِّل بحنان أخواتي البنات.

مع خالص احترامي

ابنكم الخاضع تمامًا

Boyer

ملاحظات على الخطاب الثاني والعشرين :

(١) واضح في ذهنه الهدف الحقيقي للحملة، وتشابهها بالعديد من الحروب الصليبية والتي كانت في لبها أساسًا للاستعمار الأوربي.

(٢) كان هناك تمهيد مسبق للاستيلاء على مالطة بشراء وإغراء العديد من قادتها الذين رحبوا بنابليون.

(٣) يدافع بعض الكتّاب الإنجليز عن ذلك بأن نيلسون لم يكن في ذلك الوقت في نابولي دون ذكر أين كان.

(٤) غريب أن يكتب لوالديه عن هذه الوحشية، فهل يعتبر أنها تسيء إلى الجيش أم يعتبرها مفخرة حربية؟

(٥) واضح أنه ذو تفكير سياسي ناضج ومتفهم للأوضاع السياسية ويأسف على الأوضاع في فرنسا.

(٦) كيف عرف أن عددهم ٨٠٠ كلهم فرسان، وأن الذين يقودهم ٢٤ بك، ولم يمض على الحملة سوى عدة أسابيع. واضح أنها معلومات مسبقة.

(٧) وصف مفصّل لقتال فرسان المماليك، قد يقصد به إبراز المخاطر التي تواجهه لوالديه.

(٨) عين نابليون كليبر حاكمًا على الإسكندرية، وقد مكث فيها ربما لأنه لم يكن يستطيع الاستمرار إلى القاهرة بسبب ما أصابه من

جروح هو ومينو وجنرالات آخرين، حتى نابليون نفسه نجا من إطلاق النار عليه من أحد المنازل بالإسكندرية.

(٩) يقصد بولاق.

(١٠) يشير إلى جهل المصريين بما يحدث حولهم في العالم وقيام الثورة الفرنسية، وهو لا يتجه إلى تنويرهم بالحقيقة ويتمادى ساخرًا.

(١١) المقصود شبراخيت.

(١٢) كانت هناك عدة عيوب جسيمة للمماليك رجحت كفة الفرنسيين، فنابليون والعديد من قادته لديهم خبرات حربية من حروبهم في إيطاليا وأوربا، وهذه تنقص المماليك الذين لا يُمثلون جيشًا منظمًا، فكل مجموعة منهم تحارب منفصلة عن الأخرى دون تنسيق بينها، إضافة إلى أن مدافعهم المتهالكة ثابتة غير قادرة على التحرك، ثم أنهم ليس لديهم نظرة تكتيكية، إذ كانت مثل تلك النظرة ترجح استراتيجيًا أن لا يحاربوا على الضفة الغربية للنيل بل الشرقية منه، ويكون على الفرنسيين عبور النيل، وقد درس نابليون تكتيكهم في الكر والفر وركّز على تكتيكات موجهة إلى مرحلة الفر قبل الاستعداد لمعاودة المماليك الكرَّة.

(١٣) الجيش الفرنسي يسير من الشمال إلى الجنوب على جانب النيل الغربي.

(١٤) كان عدد من المماليك قد جمع نفائسه على الجمال

استعدادًا للفرار إلى الشام.

(١٥) دليل آخر على سرعة الإعداد للحملة وعدم دراسة أثر المناخ في هذا الفصل الصيفي الحار، ويبرر البعض سرعة اتخاذ هذا القرار أنه كان من أحد أهدافه التخلص من نابليون وشعبيته وجنرالاته وجنوده الذين حاربوا معه في أوربا خاصةً، وقد زادت مطالبهم بمكافأتهم على ما قاموا به في إيطاليا.

(١٦) يقول كتاب البحرية البريطانية أن هنا جزءًا غير واضح ويترك مكانه خاليًا، وهو لا يشير إلى عدد الكلمات أو الأسطر الغير واضحة، ووسط هذا الفراغ تظهر كلمة فرنسية تعني أن ما جاء تلخيص لنظره خاصة. ثم يتبع Boyer هذا بوصف للجنود الفرنسيين ونظرتهم لقادتهم ولّما تمض على الثورة سوى ست سنوات.

(١٧) هذه نظرة ثاقبة يصف فيها ممثل نابليون المجلس.

(١٨) كبار رجال الحملة يتصورون أن مهمتهم قد انتهت بالاستيلاء على القاهرة وأن موعد عودتهم إلى فرنسا قد اقترب.

الخطاب الثالث والعشرون

القاهرة الكبرى

١١ ترميدور العام السادس

من الجنرال قائد الحامية Dupuis إلى صديقه Carlo

على الأرض مثل فوق البحر، في أوربا كما في أفريقيا، فأنا فوق الأشواك، نعم يا صديقي. لدى وصولي إلى مالطة، انصهرت لفقدان أمتعتي وتلف وتدمير حاجات الفروسية. وعند وصولنا للإسكندرية وبعد قيامنا بالهجوم ثم تعييني قائدًا لهذه المدينة، واليوم وبعد عشرين يومًا من أكبر المشقات سيرًا في الصحراء، وصلنا القاهرة الكبرى(١) هذا بعد هزيمتنا للمماليك، أعني بعد أن أجبرناهم على الفرار لأنهم ليسوا أهلاً لمجابهة عنفواننا.

كما ترى يا صديقي، فإنني كما أكتسيتُ بإكرام ورفعة جديدة لا يمكنني رفضها عندما كلفت بحكم القاهرة الكبرى، وهذا أمر بديع بالنسبة لي، لكي أرفض المنصب الرفيع الذي منحه بونابرت.

إن تصرفات الفيلق في عملية الأهرامات فريدة من نوعها، لقد مزقنا فيها أربعة آلاف فارس مملوكي، واستولينا على ٤٠ قطعة مدفعية وكافة متاريسها، وعلى أعلامهم، وعلى خيولهم الفخمة، وعلى مقتنياتهم الثمينة، بحيث أنه لا يوجد جندي واحد لم يحصل

على ما تساوي قيمته مائة لويس بدون مبالغة، كما حصل الكثير غيرهم على خمسمائة[٢].

أخيرًا يا صديقي العزيز، أنا اليوم أشغل أجمل قصر بالقاهرة، والخاص بالمفضل من المماليك لدى السلطة، قصر إبراهيم بك سيد مصر، أنا أحتل قصره بسعادة، وسرور، وأحترم وأنا وسط جواريه، الوعد الذي قطعته لمن أحب في أوربا، أنا لم أرتكب أية خيانة وآمل أن أبقى على ذلك.

حالُ هذه المدينة شنيع، فالشوارع تتنفس الأوبئة بسبب قذارتهم، الشعب بشع وخمول، أنا أبذل جهدًا كبيرًا، ولكني لم أتمكن حتى الآن أن أصل إلى أي مفهوم في هذه الفوضى التي هي أضخم من تلك التي في باريس ولكنها مختلفة تمامًا[٣]. لقد تأخرت رؤيتي La ligurie. نعم يا صديقي العزيز، رغم أن لدي الكثير من المتع ولا ينقصني أي شيء، لكن أين أعزائي؟ أين المبجلة Marina، أنا أبكي على فراقنا، ولكنني آمل أن يكون اجتماعنا قريبًا، حيث أنني أشعر بملل وسآمة شيطانية علاوة على ما أنا فيه من هم.

عبورنا الصحراء، معاركنا المختلفة لم تكلفنا شيًا تقريبًا، والجيش في حالة جيدة.

الآن نحن نتهيأ للشام، ولا أعلم إن كنت سأذهب إلى سوريا[٤]، نحن جاهزون.

لقد أصابني سوء الحظ حيث فقدت كلمات منفردة أثناء الهجوم للاستيلاء على الإسكندرية.

وأرجوك أن توافيني بأخبارك، أخيرًا أحكم على جيش هؤلاء القوم بكثير من الغرور. لقد استوليت على هذه المدينة الشاسعة في الخامس من هذا الشهر بواسطة فرقتين فقط من الجنود، هذه المدينة بها ستمائة ألف فرد.

إلى اللقاء يا صديقي العزيز.

آلاف القبلات إلى Marcellen ووالدتها ووالدها وجدها Carlo وإلى أصدقائك، وأرجو أن تعُدَّني أكثر أصدقائك إخلاصًا مدى الحياة.

C.Dupuis

أنا أكتب عن طريق المراسلة إلى Pijon و Spinola، قل لـ Pinola إنه كان محظوظًا لأنه نُفي، أقسم بالسماء أنني كنت أتمنى أن أكون مثله، إني أقبله والعائلة.

محبتي إلى المسكين Pietro. أقبل كل من Honoria وأخيك وعمك.

ملاحظات على الخطاب الثالث والعشرين :

(١) يُفهم من ذلك أنه عُين قائدًا على الإسكندرية لمدة ٢٠ يومًا قبل رحيله للقاهرة، أين كان كليبر خلال هذا العشرين يومًا؟

(٢) بعد كل هذا والسلب والنهب لماذا يتضجر الجيش وغير راض.

(٣) بعد ست سنوات من الثورة الفرنسية أحد كبار قادة الحملة يكتب عن الفوضى في باريس.

(٤) يتحدث عن لقاء قريب ثم يضيف أن هناك استعدادًا لحملة على سوريا قد يشارك فيها، واضح بصفة عامة أنه يبالغ وغير دقيق في وصف العديد من الأمور.

الخطاب الرابع والعشرون

الإسكندرية ١١ ثرميدور

من Le Roy قوميسار البحرية

إلى الأدميرال Brueys

الأدميرال المواطن ...

تنفيذًا لأوامر الجنرال كليبر، سيغادر مندوب للتموين العسكري متجهًا إلى دمياط، ولقد أعطيته خطابًا إلى المواطن Jaubert يتضمن التعليمات الخاصة بشأن مشتروات أسطولكم، وتلك الخاصة بالخدمات على البر وفي البحر، سواء في الإسكندرية أو دمياط، وذلك حتى لا تؤدي إلى حدوث أوضاع مجحفة.

الحجر الصحي عين المواطن Ferriere لأبي قير والذي سيتلقى الأوامر منكم.

قبطان الفرقاطة De la rue كتب إليّ من دمياط طالبًا بإصرار شرمانات Schermens [(١)]، وبصعوبة كبيرة توصلت إلى جمع خمسة لإرسالها كأوامرك، ونحن الآن نبحث عن سادسة.

استيلاؤنا على القاهرة سوف – كما أعتقد – يسهل علينا نقلها، ولكن على أية حالة فهناك خدمة المؤن والمياه الخاصة بكم، وللحملة

كذلك، ولمهمات الجيش البري، والمواصلات مع دمياط، وضرورة البحث عن مياه للإسكندرية التي ستفتقدها قريبًا.

كل هذه الأمور تجعلني أهتم بأن أقترح عليكم إرسال مركب حربية تختارها، إلى دمياط لتحمل إلى رشيد أكبر عدد من الشرمانات التي ستوضع تحت تصرف المواطن De la rue للتصرف فيها طبقًا لأوامرك.

وضع المرضى، ووسائل علاجهم، ما زالت حتى الآن، لا تمنعني من رجائك الأمر بأن يتم إنزال مرضى أسطولك في رشيد.

صعوبة الحصول على الأشياء عطلت وأعاقت حملة السيدة العذراء الخاصة ب N [٢].

تحياتي واحتراماتي

Le roy

ملاحظة:

كم من الآلام أيها الجنرال المواطن لأبسط الأمور. إن نجاح القائد العام وجيش الجمهورية سوف - كما أتمنى - يخفف من احتياجاتنا.

الجنرال كليبر يكرر طلبه بإبلاغه إذا كنتَ لا تستطيع استلام ما سيرسل لك على أول سفينة سنبعث بها إلى فرنسا.

الجنرال يرغب في أن ترسل ضابطًا إلى رشيد ليباشر إرسال المياه إلى الإسكندرية وتوريد مستلزمات فرسان النيل.

إليك ما اقترحه، وبعد أخذ رأي Guieu المبجل، الذي كنت قد اخترته والذي أشكرك عليه جزيل الشكر:

١- أن نضم كافة «الشرمانات» الخاصة بدمياط في رشيد - أيًّا كانت- مع تلك الخاصة بالإسكندرية لتكون في خدمة الأسطول وتلك التي في الميناء.

٢- الـ Macks تقوم بنقل المسافرين إلى القاهرة ومهمات الجيش.

٣- عربات نقل الذخيرة تحل بدلاً عن الفلائك البحرية حتى لا تعاني هذه المراكب الصغيرة.

٤- استخدام - من هنا حتى أبي قير وحتى رشيد - كافة السفن الصغيرة لاتينية القلاع ما هو ممكن منها بغاطس مياه منخفض[٣].

تحيات واحترام

Le Roy

ملاحظات على الخطاب الرابع والعشرين :

(١) ربما المقصود هو فناطيس كبيرة للمياه.

(٢) يشير إلى القائد العام للحملة بحرف واحد؛ هل هو دليل للاحترام أم الاختصار في الخطاب أم شيء آخر.

(٣) الأسطول في أبي قير يثير كثيرًا من المشكلات التموينية من رشيد ودمياط وميناء الإسكندرية والذي يبدو أن به مراكب فرنسية ذات غاطس صغير.

الخطاب الخامس والعشرون

رشيد في ١٤ ثرميدور

من Duval قوميسار الحرب

إلى المواطن Tripier مدير المستشفيات العسكرية

من المستغرب أيها المواطن، أنك منذ شهر وأنت تتغاضى عن الإهمال لدرجة غير مغتفرة بتاتًا. لا يوجد فراش من القش، لا توجد مواعين، لا توجد أدوية، لا يوجد شاش أو قطن لتضميد الجراح. في كلمة واحدة هناك نقصٌ في كل شيء، المرضى في غاية الكرب.

لا تدَّعِ ـ كما أتوقع ـ بأنه ليست لديك إمكانيات؛ فعلى قرب منك هنالك عشرات من سبل الإغاثة. كما لديك ثانيًا السفينة رقم ٤٧ التي بإمكانها توفير كافة ما تحتاج إليه مستشفى لألف مريض. إضافةً إلى ذلك فيوجد مخزن عام تم إنشاؤه في الإسكندرية.

أيها المواطن. بخصوص مسئوليتك، عليك أن ترسل لي بشكل مختصر للغاية بتفاصيل ما هو ضروري سواء بشأن أدوية أو مهمات تخص مستشفى لأربعمائة مريض.

سوف أهتم بتسجيل إهمالك لدى رئيس القوميسارية، وكذلك للقائد العام، وخاصة إذا تأخرت عن إرسال ما طلبته منك.

تحياتي

Duval

ملاحظات على الخطاب الخامس والعشرين :

(١) ثمة مشكلات كذلك بالنسبة لعلاج أعداد كبيرة من المرضى.

الخطاب السادس والعشرون

رشيد في ١٧ ثرميدور العام السادس.

لا أعرف يا عزيزتي هل وصلت إليك جميع خطاباتي. منذ أن غادرت فرنسا كتبت إليك مرة من BASITA ومرتين من مالطة وخطابًا من الإسكندرية.

نحن هنا منذ خمسة أيام ننتهز الفرصة للذهاب إلى القاهرة؛ لأن ركوب نهر النيل بدون حرس يصاحبنا غير آمن(١).

في طريقنا للإسكندرية حالفنا حظ طيب في الإفلات من الإنجليز الذين كانوا متواجدين في هذه المنطقة. في الدقيقة التي تتسلمين فيها هذا الخطاب يكون بلا شك قد وصل فرنسا خبر هزيمة أسطولنا بواسطة الإنجليز. نحن هنا في أكبر حشد من الجنود. لا أستطيع أن أوافيك بأية تفاصيل لأننا لا نعرف حتى الآن بشكل أكيد أية تفاصيل. ما هو للأسف مؤكد جدًا هو أن السفينة العظيمة L'orient تم تدميرها في المعركة. وفي وجودنا على موقع مرتفع يكشف البحر، كنا شهودًا على هذا المنظر المرعب(٢).

لقد استمرت المعركة أكثر من ٢٤ ساعة، ولقد قاسى الإنجليز بشكل كبير(٣). نحن نجهل حتى الآن كم هو عدد السفن التي فقدناها. وأنا أجرؤ على التمني بأن لا تتأكد الإشاعات المغرضة التي

تنتشر وتشير إلى أن الأدميرال Brueys قُتل، وكذلك Ducheyla وعدد كبير من الشجعان الآخرين. ليس في أول دقيقة يمكن إصدار حكم عن أسباب هذه الكارثة المحزنة لكل فرنسي مخلص نزيه. بل يجب، على العكس من ذلك، المبادرة باستعادة الهدوء الذي لا ينفعل لا بالنكبة ولا برفات الأموات.

أما بالنسبة لي، فأنا أنصت، وأنا ألاحظ، ولا أعتقد أنه من الحكمة التفوُّه أثناء الانفعال.

سنغادر باكر إلى القاهرة. وسوف نكون أول المبلغين بهذه الكارثة لبونابارت، الذي أرجو أن يعيد تقييم موقفه، وأن يتقبل بشجاعة أول ارتداد لحظه(٤).

أعترف بأنني لست مستريحًا لتأثير هذه الأنباء في فرنسا. وأرى منذ الآن أعداء بونابارت، والديركتوار وأصدقاءه، سيخرجون من جحورهم يهاجمون ويهيجون الرأي العام ضده. الخدمات التي قدمت في الماضي سوف تُنسى. كل يريد أن يأخذ لنفسه جدارة واستحقاق بأنه تنبأ بما سيحدث. الأحزاب والتنظيمات التي لم يتم القضاء عليها ستنتعش وتنشط وتزيد من تمزيق وطننا التعيس مرة أخرى(٥).

أما بالنسبة لي يا عزيزتي الغالية، فأنا هنا – كما تعرفين تمامًا – ضد مشيئتي. وضعي يزداد سوءًا كل يوم. فبالإضافة إلى عزلي عن

وطني وكل ما هو عزيز عليَّ، فأنا لا أرى الدقيقة الـتي تمكـنني مـن استعادة ذلك، رغـم هـذا لـن يحـولني أي شـيء إلى خـائن أو يبـدل صداقاتي أو واجباتي.

بونابارت لقي سوء الحظ، وهذا بالنسبة لي سبب لأن أتمسك به بشدة وأربط قدري بقدره. ولا تظني أبدًا أنني بـذلك سـأكون مؤيـدًا لأي من الأطراف الأخرى.

الماضي علَّمني أن أكون متعقلاً. ولكن إذا اسـتطاع – وهـو أمـر بعيد عن تصوري – أن يظهر من لديه طموحًا يدفعه إلى تقييد وطنه، أو توجيه جيش المدافعين عنه ضد الحرية، عند ذلك سوف يتضح لي أي الصفوف سأنضم لمحاربته.

هكذا ترين يا عزيزتي الغالية، أنني أعرف أي الأحـزاب أختـار. ولكنني أقسم لك بصراحة تفضيلي ألف مرة أن أكون معك وابنتك، منعزلاً في ركن مـن الأرض، بعيـدًا عـن كـل النـزوات، وعـن كـل المكائد، مؤكدًا لك أنـه لـو قُـدر لـي أن أطـأ بقـدمي أرض وطـني، فسوف يكون ذلك لكي لا أغادره أبدًا. بـين الأربعـة آلاف فرنـسي المتواجدين هنا، ربما لا يوجد سوى أربعة يخالفونني في ذلك[٦].

لا يوجد ما هو أسوأ من عيشتنا هنا، فنحن نفتقد كل شيء، منذ خمسة أيام لم يغمض لي جفـن. أنـام فـوق الـبلاط، الـذباب، البـق، النمـل، البراغيث، كافـة الحشـرات تلتهمنا، عشرين مرة في كل يـوم

أتحسر على CHAUMIERE البديعة(٧).

أرجوك يا عزيزتي الغالية لا تستسلمي لليأس. إلى اللقاء يا جميلتي THERESIA (٨) الدموع تبلل الأوراق. الذكريات قاسية جدًا، طيبتك، حبنا، الأمل في أن أجدك دائمًا محبوبتي ودائمًا مخلصة. أنا أقبل ابنتي العزيزة. هي فقط التي تخفف من سوء حظي.

TALLIEN

أبلغي أمي بأخباري.

أثناء سفري أصابني فقدان M.BELLAVOINE، يوم سفرنا من مالطة نام في إحدى الخمارات، ولم نره بعد ذلك. لقد رجوت REGNANT أن يبعث به إذا وجده MINERVE معي طوال الوقت وصحته طيبة.

ملاحظات على الخطاب السادس والعشرين :

(١) هل هذا انسحاب إلى القاهرة؟

(٢) أحد كبار قادة الحملة لا يعلم تفاصيل ما حدث في أبي قير رسميًا. وهو مع ذلك شاهد عيان، تفاصيله دقيقة.

(٣) أصيب الأسطول الإنجليزي إصابات بالغة، كما أصيب نيلسون إصابات خطيرة للغاية هو والعديد من مساعديه. وقد أوجز كتاب البحرية الإنجليزية في ذلك.

(٤) نتصور أن ما أدى إلى فشل الحملة وانسحابها لم يكن مباشرةً بسبب ما أصاب الأسطول من دمار، وإنما بشكل كبير وجود رغبة لدى غالبية أفراد الجيش بالعودة إلى فرنسا. ولقد رأينا طارق بن زياد يحرق أسطوله بنفسه ليؤكد على بقاء جيشه على الأراضي الإسبانية. ونلاحظ هنا استمرار نابليون في القيام بتنظيمات إدارية حتى بعد الكارثة البحرية.

(٥) مضت ست سنوات على الثورة، وما زالت الاضطرابات في فرنسا. ورغم ذلك يرسل الدركتوار حملة على عجل للقيام بسياسة تحتاج لسنوات عديدة. ويتركها في مصر دون أي مساعدة أو اهتمام.

(٦) واضح من هذا مستقبل الحملة.

(٧) هذا منزل ريفي صغير.. يمتلكه خارج باريس، ويـذكر زوجتـه بأيـام قضياها فيه. ويتضح في نهاية الخطاب أنه موجه لها Theresia Cabarro.

الخطاب السابع والعشرون :

رشيد في ١٧ ثرميدور العام السادس

إلى المواطن BARRAS عضو الإدارة التنفيذية في باريس[١]

في خطابي الأخير المرسَل من الإسكندرية، لم يكن لديَّ – عزيزي المدير – سوى الحديث إليك عن نجاحات جيوش الجمهورية، واليوم مهمتي أكثر إيلامًا. الإدارة ولاشك قد علمت بالموضوع المأساوي الخاص بمعركة أسطولنا التي وقعت في ١٤ من هذا الشهر في مواجهة الأسطول الإنجليزي.

لعدة ساعات كان لدينا الأمل في الانتصار ولكن عندما انفجرت L'ORIENT[٢] دبَّت الفوضى في أسطولنا. مِن رأى الإنجليز أيضًا أن كافة سفننا حاربت بكفاءة، وعدد كبير من سفن الأعداء تم تدميره – أما أسطولنا فقد تم تقريبًا تدميره تمامًا.

إنك تعرفني لدرجة أن تثق أنني لا أردد صدى النميمة والوشاية التي تبادر بالترحيب بلغط وضوضاء تتجاوز الحدود. أنا أراقب وأمتنع حتى الآن عن التعليق.

القوم جميعًا هنا في حالة انفعال. أغادر باكر إلى القاهرة حاملاً هذه الأنباء إلى بونابارت، سوف يتأثر بها كثيرًا، حيث لم يكن يتوقعها، سوف يجد لديه بلا شك وسائل لإصلاح خسارة بهذه الضخامة، أو على الأقل منع هذه الكارثة من أن تنحس أو تحبط الجيش

الذي يقوده.

أمـا بالنـسبة لـي فهـذه الحادثـة المؤسـفة قـد جمعـت لـديَّ كـل شجاعتي. إنني أشعر أنه علينا في هـذه اللحظـة تجميع كافـة الجهـود لاجتياز كل عراقيل القدر وسوء النية التي تحيطنا.

أدعو أن لا ينتج عن هذه الأنباء الكا'رثية نتائج سـيئة في فرنـسا، أنا شخصيًا قلق. ولكنني كبير الثقة في عبقرية الجمهورية التي خدمتنا دائمًا بشكل طيب.

إلى اللقاء عزيزتـي BARRAS، سـأكتب لـك مـن القـاهرة الـتي سأتواجد فيها خلال أربعة أيام.

TALLIEN

لقد شاهدت هنا ابن عمك، وهو ليس في حالة طيبـة، لقـد أثـر الطقس عليه بشدة، على العموم هنالك القليل من المرضى في الجيش رغم أن الحرارة بالغة السخونة، وكثيرًا مـا يكـون الجنـود معرضـين للحرمان بكافة أنواعه.

وصلت أنباء من الإسكندرية تفيد بأن فرقاطتين أمكنهما الفرار.

الإنجليز ما زالوا أمام أبو قير ينعون خسائرهم الكـبيرة للغايـة. بارقة من الأمل ما زالت موجودة نرجو لها أن تتحقق.

ملاحظات على الخطاب السابع والعشرين :

(١) الخطاب موجه إلى PAUL-FRANCOIS BAARAS وهو من مواليد عام ١٧٥٥ وتوفي عام ١٨٢٩. كان الرئيس الفعلي للدركتوار (المجلس التنفيذي) الثوري.

وهو الذي طالب بإعدام لويس السادس عشر، كما كان بعد ذلك من كبار مدبري إقصاء روبسبير. وهو الذي اقترح أن يقود نابليون الحملة على إيطاليا. وكاتب الخطاب JEAN LAMBERT TALLINE جان لامبيرتالين كان هو وباراس شهودًا على زواج نابليون بجوزيفين. يضاف إلى هذا أن زوجة تالين وزوجة نابليون كانتا عشيقتين لباراس مما كان يسبب كثيرًا من الغضب والإحراج لنابليون.

(٢) هذا يذكرنا بما حدث في معركة إمبابة عندما انفجرت سفينة رئيس الطوبجية خليل الكردلي. وهكذا تنفجر سفينة القائد فينهار الموقف.

الخطاب الثامن والعشرون

من القيادة العامة برشيد

١٧ ثرميدور العام السادس

إلى الجنرال كليبر

من LOYER الياور

جنرالي. لقد وصلت صباح أمس الساعة السابعة دون أي أحداث. وبدلاً من أن نتابع الأسطول اتجهنا إلى عرض البحر، الأمر الذي نجح بكفاءة. في الثانية مساءً مررنا في مجال الرؤية بفرقاطة للعدو، والتي من المؤكد لم تلحظنا أو تكرمت بعدم الاهتمام بنا.

الجنرال MENOU لم يكن قد أُخطر بعد بكارثتنا المؤسفة. لقد أبدى لي قلقه بخصوص قافلة للمدفعية الخفيفة ذات أحد عشر فوهة نار، بكامل مدفعيتها وكمية ضخمة من الذخيرة والبنادق. ولقد مر بالفعل وقت طويل منذ أن بعث بها من الإسكندرية للجيش، ولم تتمكن من عبور سد النيل، والتي كان[1] لزامًا عليها أن ترسو في أبي قير حيث يتم تفريغ شحنتها.. من كافة هذه المدفعية لم يتم إفراغ سوى قطعتين من مقاس ثمانية الموجودة هنا. الباقي معرَّض لاحتمال أن يستولي عليه العدو إن لم يكن قد استولى عليه بالفعل.

المواطن DUMANOIR يستطيع أن يعطيك بيانات إضافية في هذا الشأن: بعدد من الفرق ربما قد يمكننا إنقاذ هذه القافلة الثمينة للجيش.

أنا لا أعرف لأي غرض أطلق الأدميرال BRUEYS سراح «الشريف» عشية[٢] وصول الإنجليزي. لقد تصورت أن لذلك علاقة بالحدث، لكن الأمر ليس كذلك، فلقد أرسل إلى هنا، كما تجول لعدة ساعات في المدينة أثناء غياب الجنرال مينو الذي عند عودته قام بوضعه على سفينة حيث تم حجزه.

أنا في الواقع غاضب لأنك لم توافني بكافة معلوماتك للتصرفات المريبة لهذا «الشريف» لكي أضعها أمام أعين القائد العام، إن الأسباب التي جعلتك تقرر إبعاده من الإسكندرية معروفة لديّ وسأقدمها للجنرال بونابارت.

طرق المواصلات على النيل مازالت غير آمنة، الجنرال مينو قام بتسليح مقدمة صغيرة لسفري. كنت سوف أغادر اليوم لولا أخبار عن الجيش تم إعلانها والتي وصلته.

لقد وصل في هذه اللحظة مساعد جنرال من القاهرة يحمل تفاصيل رسمية عن تحركات جيشنا ومعاركه، وأوامر لتجميع بعض المستودعات، وقواعد تنظيمية للبلاد. رغم كل ذلك فالجيش هادئ والفيلق الخاص بك ما زال في بولاق. رئيس الكتيبة GOYME قال

لي في الخامس والعشرين إنه لم يكن راضيًا بالمرة عن ... وإنه شديد الأسف لأنك لم تترأسه. فرقتا كل من DESAIX وBON هما فقط اللتان قامتا بعمليات. ومن التقرير الذي لديك والمرفق في هذه الحزمة يتضح أننا لم نقاسِ إلا القليل.

الجنرال مينو في مرحلة تهدئة، وأيضًا تحالف مع عدد من رؤساء القبائل، وهو يأمل أن يجذب إليه القبيلة التي قابلت بسوء الجنرال DAMAS. بعض مساعديه قام بالفعل بعقد الصلح معهم وتم تخصيص معسكر خيام لهم، سوف يتطلب الأمر الكثير من الجنرال ليتمكن من زيادة تحولهم.

صباح باكر أغادر مع «الشريف» وعدد من الفرنسيين الموجودين هنا. سيلزمنا[٣] أربعة أيام للوصول إلى القاهرة، ومثل هذه المدة ربما للعودة حسب مواتاة الرياح، لذلك لا تعتمد عليّ أيها الجنرال لمدة عشرة إلى اثنيْ عشر يومًا.

سوف أبذل كافة الجهود الممكنة لرؤيتك في أقرب وقت، راجيًا أن أحمل إليك أخبارًا طيبة تنزعك من A[٤]، وصحراواتها وتعيدك إلى ضفاف نهر النيل الذي هو شنزليزيه مصر.

ياورك المخلص

لوابيه LOYER

التقرير الرسمي للبحرية بخصوص اليوم السيئ في ١٤ الجاري تم تقديمه للجنرال مينو، لقد حملته مع بعض البرقيات.

* * * * *

ملاحظات على الخطاب الثامن والعشرين :

(١) هل هذه المدفعية كان المفروض وصولها إلى أبي قير لمنع ما حدث من اختراق للسفن الإنجليزية بجوار الشاطئ ومهاجمة الأسطول الفرنسي من الخلف كالخطة الموضوعة منذ مدة؟

(٢) هنالك العديد من المواقف للأدميرال BRUEYS يختلف فيها مع قوات الجيش والقائد العام، مؤكدًا على استقلال قراراته. والشريف المذكور هو محمد كُرَيِّم السكندري. وكُرَيِّم بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء المكسورة وسكون الميم.

وكان الشيخ المسيري وغيره قد وافوا الجنرال كليبر حاكم الإسكندرية بمعلومات ووثائق عن اتصالات لكريم بالإنجليز وتخطيطهم للقيام بثورة في الإسكندرية، وقيامه بتوزيع منشورات ومخططات ضد الفرنسيين.

(٣) أرجو الرجوع إلى المرفق ٩ عن مصير محمد كريم نقلاً عن الجبرتي.

(٤) المقصود الإسكندرية.

الخطاب التاسع والعشرون

رشيد في ١٧ ثرميدور

من J. MENO رئيس قطاع إلى الجنرال KLEBER

يا لها من نكبة يا عزيزي الجنرال تلك التي وقعت لجيشنا البحري. إنه لأمر بشع، ولكن يجب التحلي بالشجاعة وأن نكون أكبر بكثير من الكارثة.

سأرسل باكر ياورك الخاص والقوميسار على فلوكة للقاهرة.

ليس لديَّ تفاصيل عن أبي قير لعدم وجود فرسان لدي، ولا يمكنني إرسال شخص عن طريق البر، ولا المستنقعات؛ لأنها سيئة لدرجة أن عبورها صعب للغاية.

ما زالت لديَّ آمال عديدة بأن كل شيء لم يُفقد[١]. إذا كانت لديك أية أخبار عن مراكب صغيرة أو سفن تحمل ذخيرة وخرطوشًا، بالإضافة إلى مهمات أخرى ضرورية للجيش أرجوك إبلاغي بها لحاجتنا الشديدة لها هنا وفي القاهرة.

إذا أمكن كذلك – دون التعرض للمخاطر – إرسال المهمات المتبقية بالإسكندرية إلى هنا فسوف يكون مفيدًا للغاية لتسليمها لمركز القيادة[٢].

وإجمالاً، عزيزي الجنرال أرجو موافاتي بأخبارك وكل ما يهمك، بالإضافة إلى ما تم تحطيمه من جيشنا[٣]. لقد أرسلت إلى الإسكندرية مرسالاً من القائد العام يحمل إليك برقيات.

هنا كل شيء هادئ لحد ما. ولكن علينا الاحتراس. لقد قبضت هنا على كُريم CORAIM [٤] الذي تم إنزاله من L'ORIENT وسوف أبعث به باكر إلى القاهرة في حراسة أمنية جيدة.

هل حقيقة سترسل لي DEMUT ؟ فرقته ستكون مفيدة للغاية إذا لم يكن لكم حاجة بها.

تحيات ومحبة صادقة عزيزي الجنرال. أخبارك .. أخبارك.

J.MENO

ملاحظات على الخطاب التاسع والعشرين :

(١) هذان الجنرالان سوف يحكمان مصر على التوالي، على أمل الإبقاء على مستعمرة فرنسية هي مصر.

(٢) يحاول الجيش تجميع مهماته لتسليمها لمركز القيادة فيما يبدو؛ لإعادة تقييم أوضاع الحملة العسكرية.

(٣) مينو الحاكم في رشيد وليس لديه تفاصيل عن المعركة البحرية ويستفسر عمّا حدث من حاكم الإسكندرية.

(٤) مرة أخرى القبض على محمد كُريم (يراجع المرفق رقم ٩).

الخطاب الثلاثون

رشيد بمصر في ١٧ ترميدور[١]

من E.POUSSIELGUE المشرف على مصروفات جيش الشرق والمدير العام للمالية

كنا يا عزيزتي الطيبة شهودًا على معركة بحرية هي الأكثر دموية، والأكثر سوء حظٍ بين كل المعارك التي حدثت منذ عدة قرون.

نحن لا نعلم حتى الآن كافة الظروف، ولكن تلك التي نعلمها بشعة.

الأسطول الفرنسي المكون من ١٣ بارجة حربية والتي إحداها لها ثلاثة أدوار ومائة وعشرون مدفعًا، وثلاثة لها ثمانون، غرقت أو شحطت في خليج أبي قير السيء. وهو الخليج الوحيد الموجود على ساحل مصر.

منذ ثمانية أيام ظهرت مرارًا عدة سفن وفرقاطات إنجليزية، والتي كانت قد جاءت تستكشف موقع أسطولنا تترقب منتظرة أن تتم مهاجمتنا في أية دقيقة. من رشيد إلى أبي قير خط مستقيم – حوالي أربعة فراسخ ونصف، ومن موقع مرتفع في رشيد يمكننا أن نتبين بكفاءة أسطولنا.

في ١٤ من هذا الشهر في الساعة الخامسة والنصف سمعنا عدة طلقات مدفعية، وكان هذا بداية المعركة. ولقد صعدنا إلى أعلى شرفات المنازل والمرتفعات الصغيرة وتبيَّن لنا بوضوح عشرة سفن

إنجليزية، ولم نتبين الأخرى.

استمر إطلاق المدافع بشدة حتى الساعة التاسعة والربع مساء – والتي راقبناها بسبب ضوئها الشديد والتي أعلنت لنا عن اشتعال سفينة، ثم ضاعفت نيران المدفعية من سرعتها، وفي العاشرة انفجرت السفينة المشتعلة بصوت مرعب سمعناه في رشيد – مثل الذي سمعناه في باريس لانفجار GRENILLE. تلا هذا الحدث ظلام دامس وسكون تام لمدة عشر دقائق. ما بين رؤيتنا وسماعنا للانفجار مرت بنا دقيقتان. استؤنفت النيران واستمرت دون توقف حتى حوالي الثالثة صباحًا. وتوقفت تقريبًا تمامًا حتى الخامسة حيث استؤنفت بحيوية غير مسبوقة. ولقد صعدت على برج وهو مركز مدفعية رشيد والذي يسمونه أبو المندور ABOUL MANDOR [٢] ومن هذا المكان رأيت المعركة بمنتهى الوضوح. في الساعة الثامنة صباحًا شاهدت سفينة مشتعلة، وفي خلال نصف ساعة شاهدت فجأة سفينة أخرى تقذف في الهواء منفجرة، ولم تكن تحترق من قبل، كان انفجارها مثل انفجار الليلة الماضية. السفينة المشتعلة ابتعدت عن الشاطئ وتم إطفاؤها بكيفية غير معلومة، ونعتقد أنهم تمكنوا من السيطرة على نارها. خلال هذا الوقت تضاعف قذف المدفعية. مركب كبيرة دُمرت صواريها الثلاث جنحت إلى الشاطئ وشاهدنا غيرها من الأسطول وقد فقدت صواريها تمامًا ونهائيًا. الأسطولان

كانا ملتحمين ومختلطين بشكل لم يمكننا من تبين السفن الإنجليزية من الفرنسية، ولا أن نعرف إلى أي جانب ترجح الكفة.

حافظت النيران على كل حيويتها حتى قرب الساعة الثانية ظهر يوم ١٥. وفي هذه الساعة رأينا مركبتين حربيتين وفرقاطتين تنشران كافة أشرعتها وتتجهان شرقًا. وتبين لنا أن تلك الأربعة فرنسية. لم تتحرك أية سفن أخرى ووقف إطلاق النار.

حوالي السادسة مساءً عدت إلى برج أبي المندور لكي أتبين موضع الأساطيل، كانت كما هي منذ الثانية. الأربع مراكب المسرعة كانت أمام مصب النيل، لم نعرف سوى التخمين. فقد مرت ٢٤ ساعة دون أن يصل أي فرد ليعطينا أية تفاصيل، لقد كنا في وضع يستحيل معه الحصول على ذلك عن طريق البر، بسبب العربان الذين يتواجدون بين رشيد وأبي قير، أما من ناحية البحر فبسبب صعوبة الخروج من مصب النيل للبوغاز.

يمكنك الحكم على مدى عدم صبرنا وقلقنا، لقد استبد بنا تشاؤم سيء لهذا الصمت، ولقد وجب علينا أن نمضي في هذا الشك والريبة ليلتي ١٥، ١٦. في النهاية في صباح ١٦ غادرت في المساء سفينة من الإسكندرية أعطتنا بعض التفاصيل ولكنها مزعجة.

قيل لنا إن ضابطين من الأسطول الفرنسي اللذين تم إنقاذهما في فلوكة في الإسكندرية قد أبلغا أنه منذ بدء القتال أصيب الأدميرال

BRUEYS بثلاث جروح خطيرة، واحد في الرأس واثنين في الجسد. وأنه أصر على البقاء في موقعه في مركز القيادة، وأن طلقة مدفع رابعة أصابته في منتصف جسده. وأن مساعده الكابتن CASABIANCA أصيب في نفس الدقيقة بقذيفة مدفع أطاحت به، وأن السفينة كانت مشتعلة، وأنهم لم يفلحوا في إطفاء نيرانها، وأنها في نهاية الأمر انفجرت حوالي العاشرة مساءً. وأضافا أن أسطولنا قد دُمر وفُقد، وأن هناك أربع سفن نجت ولكنها مازالت مفقودة.

عدت إلى البرج فوجدت الأمور كلها تمامًا كما كانت بالأمس، وهي كذلك كانت هذا الصباح، إليك كيف بدت الأمور أمام أعيننا بدايةً من برج أبي قير في اليسار ومتابعةً للأفق إلى اليمين.

المركب الأولى فقدت قلوعها وتحمل الشارة الإنجليزية.

الثانية والثالثة في حالة طيبة ولم نتبين شاراتها.

الرابعة فقدت قلوعها.

الخامسة في حالة طيبة وتحمل الشارة الإنجليزية.

السادسة فُقد قلعها الرئيسي، وهذا الصباح أقاموا رافعة وقلعًا مربعًا.

السابعة بدون الأطراف العليا لقلوعها.

الثامنة دُمرت.

التاسعة دمرت وظلت مقدمتها ظاهرة.

العاشرة دمرت قلوعها الثلاثة، وهذا الصباح ركّبوا قلعًا مربعًا على فرع من الصواري.

المراكب ١١، ١٢، ١٣ في شكل مجموعة لا يظهر منها سوى سبعة قلوع للسفن الثلاثة.

الرابعة عشر لم يبق لديها سوى قلع في مؤخرتها.

الخامسة عشر فقدت أطراف قلوعها.

السادسة عشر دُمرت تمامًا.

السابعة عشر فقدت مقدمتها.

الثامنة عشر لم يبق لها سوى قلع صغير.

١٩، ٢٠، ٢١: تكوّن مجموعة لا يبدو فيها سوى أربعة قلاع فقدت كل أطرافها.

٢٢: دمرت تمامًا وعليها شارة إنجليزية، وغرقت، ويعملون على تعويمها بوضع قلوع صغيرة.

٢٣: في حالة طيبة وتحمل شارة إنجليزية.

٢٤: في حالة طيبة.

هذا كل ما تبينته، والنتيجة أن الإنجليز نالوا النصر، لكنهم نالوا معاملة قاسية للغاية لدرجة أنهم لم يستطيعوا متابعة سفننا التي غادرت يوم ١٥.

منذ يومين وكافة السفن ساكنة لا تعمل وكأنها كتل خشبية طافية.

هذا الصباح وصلتنا أنباء من الإسكندرية تؤكد خسائرنا. مساعد الأدميرال DECRETS قتل، كذلك نائب الأدميرال BLANQUET DUCHAJLA، السفينة LE TONNAUT هي آخر من هرب وDUPETIT THOUARS الذي يقودها فقد ذراعه من طلقة مدفع. السفن التي نجت هي GUILLAUME TELL و(جزء غير واضح) الفرقاطتين LA JUSTICE وLA DIANE وقيل إن L'ARTEMISE هي التي انفجرت صباح أول أمس.

يبقى بعد ذلك عدة أمور يجب تناولها فيما يخص هذه المعركة. قيل إن الأدميرال الإنجليزي أرسل مندوب تفاوض إلى الإسكندرية يطلب أن نستقبل وأن نعتني بجرحاه البالغ عددهم ألف وخمسمائة، مقابل إرجاع كل أسرانا. ولا أعلم ماذا تقرر في هذا الأمر.

سوف تتلقون في فرنسا الوصف الرسمي منّا ومن الإنجليز. تجاهلي ما سيقولونه، يمكنك أن تتأكدي مما كتبته لأنني رأيته[٣].

أبلغي خطابي إلى المواطنة CORANCEZ، سيوفر ذلك على ابنها موافاتها بالتفاصيل والاهتمام بشئون أخرى. لقد سبق أن كتب ستة خطابات ولم يصله شيء. ليس لدي أية أخبار عن المواطن MONY الذي عينته مندوبًا في دمنهور.

DERANCES الـذي كـان مريـضًا قـد تعـافى، وهـو معـي. MARTIN في حالة طيبة تمامًا ولم يتلق كلمة واحدة من أسـرته. لقـد كنت المحظـوظ الوحيـد لحـصولي علـى ثـلاث خطابـات منـك منـذ وجودي في مصر. من المؤكد أن الكثير فُقـد، حيـث أن الإنجليـز قـد استولوا على الكثير من مراسلاتنا. لقد رُسم لي هنا صـورة جانبيـة قام بها فنان متمكن هو المواطن DENON [٤] يجدونها تـشبهني تمامًـا. ولكن ما يحيط بنا من إنجليز يجعلني لا أجرؤ على إرسالها متأكدًا أنها ستنتهي في إنجلترا أو في قاع البحر، أنا أرغب أن أقدمها لكِ بنفسي. كوني متأكدة أنه بمجرد التصريح لي، والذي لا أتوقف عـن المطالبـة به، سوف أغادر. لا يوجد أي مأمول فيه يمكن أن يبقيني هنا، سأكون راضيًا أن أصل إلى جانبك عاريًا ككف اليد[٥]. بقـي أنـني في صـحة عظيمة. أغادر صـباح بـاكر إلى القـاهرة إلى مبنـى جميـل مـع خزينـة الأموال، والصراف العام وسفينتين، و٢٥٠ من المرافقين، وأكثر مـن ٤٠ مسافرًا. لديَّ فرس عربي ممتاز أهداه لي شيخ هنا. سوف نذهب على النيل.

سـلامي يـا جميـلتي الـصغيرة، أحبـيني دائمًـا، واذكـريني لكـل أصدقائنا. أقبلك وكذلك أبناءنا.

POUSSIELGUE

ملاحظات على الخطاب الثلاثين :

(١) هذا التاريخ يقابل ٤ أغسطس ١٧٩٨م أي بعد ثلاثة أيام من المعركة.

(٢) هل لهذا المكان علاقة بما يسمى بالمندرة حاليًا؟

(٣) وصف مسهَب ومفصَّل لشاهد عيان يكتب لزوجته. ونلاحظ أنه يذكر أوضاع ٢٤ سفينة بعد المعركة وفرار أربع سفن، أي أن المعركة كان بها حوالي ٢٨ سفينة.

(٤) هذا الفنان رسم العديد من اللوحات الشهيرة للحملة في مصر.

(٥) الكل يهدف للعودة إلى فرنسا.

الخطاب الحادي والثلاثون

الإسكندرية في ٥ فركتوديور[1]

من مساعد أدميرال GANTEAUME

إلى الجنرال BRUIX وزير البحرية والمستعمرات

المواطن الوزير ...

إنني مضطر إلى إبلاغك عن أكثر الحوادث نكبةً، بألم ومرارة تستحوذ عليّ لهذا الواجب المحزن.

اثنتا عشرة سفينة تم الاستيلاء عليها أو أُحْرِقَتْ أو فُقِدَتْ بالنسبة لفرنسا. خير ضباطنا قتلوا أو جُرحوا. سواحل مستعمرتنا الجديدة معرَّضة لهجوم من العدو. هذه هي النتائج المفزعة لمعركة بحرية حدثت مساء ١٤ من الشهر الماضي بين الجيش الفرنسي والجيش البريطاني تحت قيادة الأدميرال نيلسون.

من الخبرة التي مارستموها – أيها المواطن الوزير – في موانينا أثناء هذه الحرب سوف يكون لديكم بدون شك وبسهولة التقدير والحكم على أسطول حربي مثل أسطولنا. أن يكون لدينا أمل في طاقم، وأن نجد أفرادًا، تم جمعهم عشوائيًا عند قيامنا بالإبحار، وبحارة ومدفعية غير قادرة ومدربة. كان التصور السعيد، واهتمام وعناية القادة. ربما بعض الحظ قد صاحب الأسطول ووصل إلى سواحل مصر بدون أي حادث.

لاشك أن الأدميرال قد أعلمك عن كيفية وصولنا للإسكندرية. لقد علمنا بأن أسطولاً إنجليزيًا مكونًا من أربعة عشر سفينة ظهر ثلاثة أيام قبلنا. ربما كان من المناسب مغادرة هذا الساحل بمجرد إتمام الإنزال[٢]، ولكن انتظارًا لأوامر القائد العام ووجود أسطولنا أمام الساحل أعطي قوة كبيرة مبالغة لجيش البر[٣]، الأدميرال رأى أنه من الأصوب ترك هذا المكان، وعلى عكس ذلك أن يأخذ موقفًا ثابتًا في خليج أبي قير. هذا الخليج لقربه من رشيد أعطى له المقدرة على الحصول على المؤن التي يحتاجها الأسطول وعلى تجديد ولو بصعوبات ومخاطر لا تنتهي، الحصول على جزء من الماء الذي يستهلكه الأسطول يوميًا[٤].

وضع سفن الأسطول في خطٍّ موازٍ للخليج جعلها للأسف في وضع مكشوف وبشكل لا يمكن حمايتها من البر، عدد من نُذُر الشؤم وصلتنا عن طريق محايدين أشارت إلى عودة أسطول العدو: كان قد شوهد من فوق جزيرة CANDIE وهو يتجه إلى الغرب، مناورات هذا الأسطول الذي هو أقوى من أسطولنا لم ينتظرنا أمام الإسكندرية والذي اتجه إلى الغرب أثناء تنفيذنا لعمليات الإنزال والذي كان يمكنه بسهولة إفشالها، أكد لسوء الحظ على فكرة أنه لم يكن لديهم أوامر بمهاجمتنا مسببًا خطأً كبيرًا بالشعور بالأمان.

في ٢ ثرميدور جاءت فرقاطتان للعدو لمراقبتنا. وفي ١٤ من الشهر

في الساعة الثانية مساءً واجه أسطول العدو أسطولنا؛ ١٤ سفينة برفقتهما مركبان، كانت الرياح شمالية وطيبة ورطبة. وتقدموا فاردين كافة أشرعتهم نحو موقع الجيش معلنين نيتهم في الهجوم علينا.

الإجراءات التي اتخذها الأدميرال في هذه المناسبة ـ وهي القتال مع رسو المراكب ـ هي سبب لهذه الكارثة، التفاصيل عن ذلك بالضبط في المرفق مع هذا(٥)، وقد أوضحتُ فيه ما رأيته في هذه الليلة القاسية والفظيعة(٦).

اشتعلت الأوريان، كانت نجاتي أعجوبة لا أستطيع فهمها، كيف خرجتُ من وسط اللهيب ووصلت لقارب وُجد مربوطًا تحت السفينة، لم يمكنني الصعود إلى سفينة الجنرال VILLENEUVE، ولقد مكثت في هذا المكان بعد مغادرته لكي أعاني إبلاغك مثل هذه التفاصيل المزعجة.

كل من: و LE FRANKLIN و LE SPARTAIE و LE TONNANT LE PEUPLE SOUVERAIN، وLE CONQUERANT تم الاستيلاء عليها وسحبها مقهورة، وقد نشرت شراعها وسارت مع أسطول العدو الذي غادر الساحل منذ يوم ٣٠ سبتمبر بعد أن ترك مجموعة من ٤ سفن وفرقاطتين.

السفن: LE MERCURE، L'HEUREUX، LE GUERRIER أحرقها العدو. والسفينتان الأوليان شحطتا أثناء القتال وانفجرتا عندما

حاول العدو سحبهما، السفينة LE. TIMOLEON لم تستطع الهروب وتم شحطها على الساحل عن عمد بواسطة القبطان TRULET وتم إشعالها بعد إنقاذ ـ في المراكب الخاصة بها ـ كل ما أرسل إليه وكافة طاقمها. أما الفرقاطتان L'ARTEMISE، LA SERIEUSE فقد فقدتا دون أن يستفيد منهما العدو، الأولى أُحرقت والثانية غرقت.

الباقي من هذا الجيش المخزي تقلص إلى مجموعة من الفرقاطات وطرادات وعوامات كانت راسية في الإسكندرية وتلك الخاصة بالجنرال VILLENEUVE الذي قام بمناورة جريئة وهرب من الأعداء. سوف تلاحظ من الملخص أن هذه الفرقة مكونة من سفينتين LE GUILLAUM TELL وكذلك LE GENEREUX وأيضًا فرقاطتين LA DIANE، LA JUSTICE.

بسبب رتبتي فأنا على رأس جيشنا سيء الحظ والذي تبقى هنا.

الأدميرال نيلسون اقترح عليَّ تسليم الجرحى وغيرهم من السجناء. بالتفاهم مع الجنرال كليبر قائد المنطقة وافقت على هذا الاقتراح. ثلاثة آلاف ومائة سجين منهم ثمانمائة وصلونا منذ ١٧ ثرميدور، بواسطة هذه الاتصالات حصلنا على تقدير لكافة من فقدناهم من أفراد. يتوقف قلمي وأنا مضطرب وأنا أرسم لك هذه المصائب.

الأدميرال ورؤساء القطاعات CASA BIANCA وTHEVENAN و PETIT THOUARS كلهم ماتوا. ستة ضباط قيادة – أسماؤهم

مرفقة – جُرحوا جراحًا خطيرة. لم أتمكن حتى اليوم من الحصول على البيان المؤكد لعدد القتلى والجرحى، وذلك بسبب الرفض الذي وافاني به الأدميرال الإنجليزي، وهو أن يرسل إلى البر أمناء السفن التي استولى عليها بكشوفهم وقوائمهم حتى نتمكن من مقارنتها بقوائم الأوامر الإدارية لغارة أبي قير، ولكي أضمها إلى الأسرى التي أرفقتها بخطابي هذا.

منذ مصيبتنا وطرّادات العدو تسيطر على الساحل كله. وهي تلتقط كافة اتصالاتنا منذ عدة أيام، أوقفوا LE CHEBECK، وكذلك LA FORTUNE، كان قد أرسلهما الأدميرال للتواجد أمام دمياط. الأسطول الإنجليزي الذي كان لي شرف الإشارة إليه فيما سبق قد غادر، ويقال إنه يتجه إلى صقلية. كان ذلك يوم ٣٠ من الشهر الماضي. والفيلق الذي مكانه على الساحل يتكون من أربع سفن ذات قوة ٧٤ وفرقاطتين.

وطبقًا للتنظيم الذي لديهم فقد أخفى الإنجليز خسائرهم داخلهم، وليس لدينا أية معلومات مؤكدة عمّا فُقد منهم[٧]، لقد تأكد لنا أن الأدميرال نيلسون قد جُرح جرحًا خطيرًا في رأسه، وأن قبطانين قد قُتلا. ويذكر كذلك أن سفينتين LE MAJESTIC و LE BELIE ROPHONC كانتا تحملان ثلاثمائة فرد قضت عليهم المعركة.

في الوضع الذي نحن فيه، محاصرين بقوات معادية أقوى منا،

فإنني أتساءل مرة أخرى ـ أيها المواطن الوزير ـ ما هو الـدور الـذي يمكننا القيام به بإمكانيات بحرية هزيلة بقيت لنا في هذا الميناء؟ ولكن إذا كان عليَّ أن أقول لك الحقيقة ـ والتي أشعر بها ـ أنـه بعـد هـذه الكارثة الضخمة، أعتقد أنه لا يوجد سـوى الـسلم الـذي يمكـن أن يثبت لنا مستعمرنا الجديدة، ونأمل من حكّامنا أن يقـدموه لنـا قويًّـا ومشرِّفًا.

GANTEAUM

ملاحظات على الخطاب الحادي والثلاثين :

(١) تاريخ هذا الخطاب يوافق ٢٣ أغسطس ١٧٩٨؛ أي بعد معركة أبي قير بـ٢٢ يومًا. وذلك لإبلاغ وزير البحرية الفرنسي رسميًا بما حدث في أبي قير. ويقع الخطاب في أيدي الإنجليز.

(٢) هل مساعد الأدميرال لم يكن على علم بأن بقاء الأسطول كان لتكملة حملة إقامة مستعمرات في المنطقة المحيطة بمصر وخنق المستعمرات الإنجليزية، وخاصة في الهند؟ ألم يكن على دراية بمراسلات نابليون لحكام المنطقة؟

(٣) دليل آخر على الخلافات والتنافس بين البحرية والجيش.

(٤) تبرير غير مقنع وغير دقيق يقدم لوزير البحرية لرسو الأسطول أمام خليج أبي قير وفي عرض البحر كما ذكر الأدميرال نفسه.

(٥) مساعد الأدميرال يعترف بخطأ الأدميرال.

(٦) يبين مساعد الأدميرال أنه أرفق بخطابه التفاصيل للمعركة البحرية، ولا يوجد أي ذكر في الكتاب عن المرفقات، فالبحرية الإنجليزية تنشر الخطاب فقط. فهل قرروا عدم نشرها لأسباب تخصهم؟

(٧) خسائر الإنجليز كانت جسيمة، مما دفعهم للتفاهم حول تبادل الأسرى والجرحى. ثم غادر الأسطول الإنجليزي إلى عدد من موانئ البحر الأبيض لإصلاح ما تخرَّب من سفنه.

ملاحظات إضافية:

أـ نلاحظ أن الأدميرال هورشيو نيلسون في بيانه عن تاريخ خدماته لبريطانيا، والذي كتبه في ١٥ أكتوبر ١٧٩٩ وهو بميناء PORT MAHDN رغم إسهابه في وصف تفاصيل المعارك البحرية التي خاضها فإنه عندما يتعرض لمعركة أبي قير يكتفي بأن يكتب (لقد لحقت بالأدميرال سانت فنسنت من كادز في ٢٩ أبريل، وفي ٣٠ منه كُلفت بالذهاب إلى البحر الأبيض، وأنا أرجعكم هنا إلى الوصف الموثق الرسمي عمًّا قمت به في معركة النيل) ولا يزيد عن ذلك بأي كلمة.

ب ـ الإنجليز يسمون معركة أبي قير «معركة النيل»، ونابليون يسمى معركة إمبابة «معركة الأهرامات»، هذه مفاخرات دعائية موجهة لشعبيهما وأوربا؛ لأن هؤلاء يعرفون الأهرامات والنيل ولا يعرفون أبا قير وإمبابة.

الخطاب الثاني والثلاثون

الإسكندرية في ١٨ ترميدور

خلاصة للمعركة بين جيش البحرية الفرنسي والآخر البريطاني تحت قيادة الأدميرال نيلسون في ليلتَيْ ١٤، ١٥ ترميدور العام السادس[١].

في الساعة الثانية مساءً أشارت السفينة L'HEUREUX إلى تواجد ١٢ سفينة في شمال شمال غرب. مراقبونا رصدوا ذلك في نفس الوقت، وحصروا عددها حتى وصل إلى ١٦ سفينة. لم نتردد في التعرف على أن هذا هو الأسطول البريطاني ويتكون من ١٤ سفينة وفرقاطتين.

الأعداء اتخذوا سبيلهم بقوة قلاعهم إلى مواقعنا تتقدمهم فرقاطة لحبس الأغوار[٢] وكانت الرياح طيبة ورطبة.

كل من السفينتين L'ALCESTE، و LE RAILLER أعطيت لهم الأوامر بالإبحار بكافة الأشرعة لتعطيل مناورات هذه الحشرات.

بدأت إشارات نوبات الاستنفار والاستعداد للقتال، وقرار الجيش في وضع رسو، طالب الأمر الأطقم باتخاذ مراكزهم المحددة لهم. تم كل ذلك حوالي الثالثة.

الزوارق الطويلة التي كانت على الجانب تم استدعاؤها، كما

تم إرسال قارب من السفينة L'ARTEMISE إلى ساحل رشيد لإبلاغ الاتصالات عن مكان رسوّنا[٣].

وظهر العدو، وأخيرًا صدرت الأوامر للطرادات والفرقاطات بدفع أطقمهم إلى أعلى السفن، واستمر أسطول العدو في التقدم بكامل قوته بعد أن قام بدورة كبيرة حول صخور الجزيرة[٤]، لقد تمكن من الرياح فقلل من أشرعته ووضحت نيته في مهاجمة جيشنا.

في الساعة الخامسة وخمسٍ وأربعين دقيقة أطلقت مدفعية الجزيرة الصغيرة عدة قنابل على مقدمة خطوط العدو. وفي السادسة إلا بضع دقائق أعطى الأدميرال إشارة بدء المعركة، وبعد قليل من الوقت بدأت طلائع المقدمتين في تبادل إطلاق المدافع؛ العديد من سفن العدو قللت فجأة من أشرعتها مما أدى لانحراف مقدمة خطنا.

ثم أرسوا مراسيهم بحبال من خلف سفنهم جاذبين ومبعدين خطنا القريب من الشاطئ بينما قام آخرون بالرسو على مرمى مسدس منا في الجانب الآخر. بهذه المناورة، وجدت كافة سفننا حتى السفينة TANNANT وجدتِ نفسها محاطة[٥]، وتبينا سفينتين شحطتا على البر في تنفيذهما لهذه المناورة، لكن أمكن سحب إحداهما.

الهجوم والدفاع كانا بشكل مهول؛ كافة سفن المقدمة حتى آخر بحارتنا تم مهاجمتها من جهتين، والعديد من الكشح والجرف. وفي هذه الفوضى المليئة بغشاوة وسحب من الدخان كان من الصعب

تبين تحركات الأسطول.

وفي بدء التحركات، تواجد الأدميرال وكافة كبار الضباط، وأمناء الكوميسارية، وحوالي عشرين من مديري دفات السفن ووسائل النقل المختلفة، تواجدوا فوق سطح السفينة[٦] الخلفي الذي يشغله حاملو البنادق. كافة الجنود والأفراد حتى المخصصين للمناورات نزلوا المعركة بأمر الأدميرال، أما الاثنا عشر مدفعًا فكان ينقصها نصف طاقمها[٧].

بعد ساعة من العمليات جُرح الأدميرال في وجهه وفي يده وتم إنزاله من فوق السطح الخلفي للسفينة، لكنه انتكس، وقتل بعد قليل من الوقت فوق سطح السفينة الخلفي.

مضطرون للاستمرار في المعركة من جهتين؛ أهملنا المدافع الاثني عشر، أما تلك الأربعة وعشرون والستة والثلاثون[٨] فقد استمرت نيرانهما بصعوبة.

السفينة LE FRANKLIN وأيضًا السفينة LE TONNANT بدتا لنا في مركز حرج مثلنا، سفن العدو بعد قضائها على سفن مقدمتنا انساقت مع التيار، واتخذت عدة مواقع حولنا، ونحن ... من المقدمة مضطرون للفلفة الكبلات أو الحبال حتى نواجههم بانحراف، في ذلك الوقت كانت سفينة للعدو تقاتلنا من ميمنة سفينتنا وتكاد تلامسها، وكانت قد فقدت كل أشرعتها وتوقف إطلاقها للنيران،

قطعت حبالها لكي تبتعد عن النيران. كنا مضطرين للدفاع عن أنفسنا ضد سفينتين أخريين تقذفاننا بوابل من القنابل من الجانب الأيسر للسفينة، فأجبرنا على قطع حبالنا. واستمر دفاع المدافع ٢٤، ٣٦ بحيوية، ظهرت النيران على ظهر السفينة نتيجة لوقوع انفجار. اندلعت النيران في إحدى المراكب، وبقطع حبالنا نجونا. اشتعل فراش للبحارة وتم إنقاذ أخرى وتم إلقاؤها في البحر، وفي المرة الثالثة اشتعلت النيران في ثانية واحدة وبانتشار سريع(٩) وتأججت في كافة الانقاد الخشبية والعديد من الحطام والتي كانت تسند المنصة. مضخات الحريق كانت قد تحطمت بفعل قذائف المدفعية والدانات، وانقلبت الأوضاع. صدر أمر بوقف مدفعيات المعركة لكي يتمكن الجميع من تصفية المياه. ولكن الصعوبات كانت لدرجة أنه وسط الجلبة والصخب، استمرت بطاريات المدافع الـ٣٦ في إطلاق نيرانها. ورغم أن كافة الضباط أصدروا أوامرهم بصعود الجميع إلى أعلى السفينة، فإن تزايد الاشتعال في زمن قصير كان مؤيسًا وقاطعًا للأمل، وليس لدينا وسائل لمقاومته.

أكبر صوارينا والآخر المساعد له سقطا، لم يكن أمامنا سوى أن نودّع السفينة، كانت النيرانان قد شملت كل المنصة الخلفية وأيضًا المدفعية ١٢.

جُرح قبطان السفينة ونائبه منذ وقت مضى، لذلك أصدر الجنرال GANTEAUME (١٠) الأمر بفتح منافذ السفينة ومغادرتها.

لقد اشتعلت النيران حوالي العاشرة إلا ربع، وفي العاشرة والنصف انفجرت السفينة، برغم أننا اتخذنا الحيطة بفتح منافذ السفينة بعضٌ من طاقم السفينة نجا بالتعلق بالحطام والآخرون قُضي عليهم.

استمر القتال طوال الليل بواسطة خلفية الأسطول، وفي الصباح تبين لنا أن كلاً من:

LE SPARTIAT ، LE CONQUERANT ، LE GUERRIER LE FRANKLIN ، LE PEUPLE SOUVERAIN ، L'AQUILLON قد استسلمت واستولى عليها العدو، أما LE TONNANT والتي فقدت كافة أشرعتها فقد كانت في المؤخرة، ولكنها لم تستسلم.

L'HEUREUX، وكذلك LE MERCURE فشلتا في الاستمرار في القتال وأُجبرتا على التسليم في الصباح، L'ARTEMISE اشتعلت في الثامنة صباحًا. أما LA SERIEUSE فقد أدى انحراف رأس المركب إلى غرقها.

LE GUILLAUM TELL وكذلك LE TIMOLEON وأيضًا كل من LA DIANE وLA JUSTICE بقلاعهم المنشورة أطلقوا مدافعهم على عدد من سفن الإنجليز خلال فترة الصباح. ولكن هذا القسم من الأسطول باستثناء LE TIMOLEON شدت رحالها في العاشرة أو الحادية عشر صباحًا وتقدمت إلى عرض البحر.

LE TIMOLEON شحطت على الشاطئ، وقد بلغنا أن قبطانها بعد أن أنقذ كافة طاقمها - أشعل فيها النار في الرابعة صباحًا لمنع استيلاء العدو عليها.

هذه هي نتائج هذه العملية الفظيعة، لقد أوضحت ما قدمته لنا ذاكرتنا، ودون أن نرجع لأي ورقة أو ملاحظة مكتوبة[١١].

مساعد أدميرال

GANTEAUME

ملاحظات على الخطاب الثاني والثلاثين :

(١) لا يوجد عنوان أو اسم مَن تم توجيه هذا الخطاب إليه، ونلاحظ أن تاريخه يقابل ٥ أغسطس ١٧٩٨، وهذا يدعونا إلى التساؤل كيف كتب GANTEAUME هذا الخطاب ١٨ يومًا قبل أن يكتب خطابًا آخر (الخطاب ٣١) إلى وزير البحرية الفرنسي.

(٢) واضح أنهم ينوون الدخول للوصول خلف الأسطول الفرنسي.

(٣) هل الاتصالات لم تكن تعرف مكان رسو الأسطول؟!

(٤) واضح أن بعض السفن الإنجليزية تمكنت بشكل بسيط من المرور بجانب الشاطئ حتى أصبحت في ظهر السفن الفرنسية، وتم إطلاق النار على الأسطول الراسي الفرنسي من الجهتين الأمامية والخلفية.

(٥) من المسئول عن هذا الخطأ الاستراتيجي البديهي؟

(٦) يقصد سفينة القيادة الفرنسية L'ORIENT.

(٧) هل هذا معقول لأسطول ضخم يتكون من أكثر من ١٤ سفينة؟ أم هذه حجة لتبرير الخسارة التي نرى في الأساس أن مرجعها أخطاء استراتيجية واضحة؟

(٨) نوعان من المدافع المستعملة في ذلك الوقت والتي استمرت في إطلاق نيرانها.

(٩) في كتاب The Life of Nelson للكاتب الإنجليزي Robert Sothey والذي أهداه إلى وزير البحرية البريطاني عام ١٨١٣ يذكر الكاتب صفحة ١٧٦ أن بعض الضباط الفرنسيين – أثناء حصار الإنجليز للإسكندرية – قاموا بمقابلة للكابتن HALLOWELL المسئول الإنجليزي عن الحصار لبحث بعض الأمور التموينية، وأنهم بعد تناولهم الغذاء مع القائد البريطاني أثاروا معه استخدام نيلسون لقذاف من مواد حارقة محرَّمة مما أثار استنكار نابليون، فقام الكابتن HALLOWELL بإجراء تجارب على بعض القذائف التي كان عليها علامات تميزها عن غيرها، وأن هذه القذائف ظلت مشتعلة حتى تحت مياه البحر.

وأتصور وجود الكثير من المعلومات الغامضة والمشوَّهة عن هذه المعركة البحرية التي يشير البعض إلى أنها كانت في الإسكندرية وآخرون يؤكدون أنها كانت معركة واحدة وفي أبو قير. ومن المفروض وجود بيانات عديدة ودقيقة لدى أرشيفات كل من البحرية الفرنسية والإنجليزية بالإضافة إلى العديد من المذكرات الشخصية لحقيقة ما حدث بالضبط ولو أننا نثق فيما كتبه GANTEAUME.

(١٠) نص هذه الوثيقة يقول: «ثم أصدر مساعد الأدميرال GANTEAUME الأوامر بفتح منافذ السفينة ومغادرتها». ولا يقول أمرت أنا بفتح منافذ السفينة حيث أنه هو ذاته الموقِّع على هذا المستند.

(١١) خلاف على الخطاب السابق الموجه من نفس الشخص إلى وزير البحرية الفرنسي، فهذا المستند لا يوجد به أي نقد أو لوم على سوء إستراتيجية الأسطول الفرنسي في أبي قير.

كل هذه الصراعات وهذا القتال يذكره الجبرتي باختصار غريب، ويذكر أنه وقع حدث في الإسكندرية، ويؤرخ بتاريخ ١٧ أغسطس ٥ ربيع أول أي بعد ١٧ يومًا من حدوثه. وينتقل مباشرةً بعد ذلك إلى فتح ماء الخليج والمولد النبوي وغيره من الاحتفالات، مما يدل على قدرة الحملة ونابليون على إلهاء الرأي العام المصري عن كارثة تدمير الأسطول الفرنسي. (يراجع ما ذكره الجبرتي في المرفق رقم ٨).

[تمت الرسائل]

● * * * *

المرفقات

المرفق رقم (١)

مختصر للسيرة الذاتية للسفير / يوسف شرارة

١٩٥٣	التخرج من كلية التجارة والاقتصاد – جامعة القاهرة – قسم العلوم السياسية.
١٩٥٤	معهد العلوم السياسية – جامعة القاهرة.
١٩٥٤–١٩٥٩	البعثة الدائمة لمصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك – ممثل لمصر لدى اللجنة السياسية الخاصة.
١٩٥٩–١٩٦٣	إدارة الأبحاث بوزارة الخارجية – سكرتير المؤتمر الإعدادي للمؤتمر الأول لدول عدم الانحياز.
١٩٦٣ - ١٩٦٦	سكرتير أول السفارة المصرية بالاتحاد السوفيتي– موسكو.
١٩٦٦–١٩٧٠	مكتب وكيل وزارة الخارجية – مكتب وزير الخارجية.
١٩٧٠–١٩٧٤	المستشار السياسي بقسم رعاية المصالح المصرية بالولايات المتحدة، ثم المستشار السياسي لسفارة مصر بواشنجتون.

١٩٧٤—١٩٧٧	مدير إدارة الهيئات بالنيابة بوزارة الخارجية — مدير إدارة الاتصالات الخارجية والرمز بوزارة الخارجية.
١٩٧٧—١٩٨١	قنصل مصر العام بنيويورك.
١٩٨١—١٩٨٤	مدير المعهد الدبلوماسي لوزارة الخارجية.
١٩٨٤—١٩٨٨	سفير مصر لدى المملكة المتحدة — لندن.
١٩٨٨—١٩٩٠	مساعد وزير الخارجية للعلاقات مع دول غرب أوربا، والدول الآسيوية والعلاقات الثقافية المصرية الخارجية.
١٩٩٣—١٩٩٥	محاضرات وامتحانات للدراسات العليا — علاقات دولية — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية — جامعة القاهرة.
١٩٩٦	مشكلات القرن الحادي والعشرين، الهيئة العامة للكتاب.
١٩٩٨	«دستة حكايات» مجموعة قصص قصيرة، مكتبة الآداب.
٢٠٠٣	«عشرة طيبة وكبد العجول» ... مجموعة قصص

قصيـرة، مكتبة الآداب.

٢٠٠٤ تحقيـق «مفحمـات الأقـران في مبهمـات القـرآن» لجلال الدين السيوطي، مكتبة الآداب.

٢٠٠٦ «الدبلوماسية والعلاقات الدولية»، مكتبة الآداب.

٢١٠ «تحديات القرن الحادي والعشرين»، مكتبة الآداب.

المرفق رقم (٢)

إعلان الحماية على مصر

إلى صاحب السمو الأمير حسين كامل باشا

يا صاحب السمو:

أنا مكلف من قبل السكرتير الأساسي للدولة للسياسة الخارجية لصاحب الجلالة، بأن أضع أمامكم، يا صاحب السمو، الملابسات والظروف السابقة لقيام الحرب بين صاحب الجلالة البريطاني وسلطان تركيا، والتغيرات التي تستلزمها الحرب بالنسبة لوضع مصر.

كان يوجد في الوزارة العثمانية حزبان، في جانب كان يوجد حزب معتدل واع لما قدمته بريطانيا العظمى من اهتمام بكافة الجهود نحو الإصلاحات في تركيا، والذي تبين له أنه في الحرب التي يقوم بها صاحب الجلالة، لا يوجد أي دخل لها بالمصالح التركية، ورحب بتأكيدات صاحب الجلالة وحلفائه، لا في مصر، ولا في أي مكان آخر تستغل الحرب كحجة لأي عمل يضر بالمصالح التركية.

وعلى الجانب الآخر، عصبة من العسكريين المغامرين، لا مبادئ لهم، رأوا ووجدوا أن في حرب عدوانية، توجه بالتنسيق مع أعداء صاحب الجلالة، وسيلة الإنقاذ من الكوارث العسكرية، والمالية،

والاقتصادية، والتي سبق إغراقهم لدولتهم فيها.

أملاً في أن تسود النصيحة والحكمة في النهاية، فإن صاحب الجلالة وحلفاءه، ورغم الانتهاكات المتكررة لحقوقهم، امتنعوا عن القيام بعمل مضاد. حتى اضطروا إلى ذلك لما حدث من عبور عصابات مسلحة للحدود المصرية، والهجوم غير المبرر على الموانئ الروسية بواسطة قوات بحرية تركية تحت قيادة ضباط ألمان.

حكومة صاحب الجلالة لديها العديد من الدلائل بأنه منذ قيام الحرب مع ألمانيا، وصاحب السمو عباس حلمي باشا ـ خديوي مصر السابق ـ، قد ألقى بالتأكيد كل ما لديه لأعداء صاحب الجلالة.

من الحقائق المؤكدة فيما سبق، تكون النتيجة أن الحقوق على مصر، سواء قِبل السلطان أو الخديوي السابق، قد سقطت بالنسبة لجلالته.

حكومة صاحب الجلالة - سبق عن طريق القائد العام لقوات صاحب الجلالة في مصر – قد قبلت المسئولية المحددة للدفاع عن مصر في الحرب الحالية. ويتبقى وضع نوعية مستقبل حكومة للبلاد، حرة كما ذكرت في كافة الحقوق السياسية أو غيرها من الحقوق التي تدَّعيها الحكومة العثمانية.

من الحقوق التي تنتج عن ذلك لصاحب الجلالة، وتلك أيضًا التي تطبق في مصر خلال ثلاثين عامًا من الإصلاح، فإنَّ حكومة

صاحب الجلالة تعتبر نفسها كأمين على سكان مصر.

وحكومة صاحب الجلالة قد قررت أن بريطانيا العظمى لكي يمكنها تنفيذ مسئوليتها التي تتحملها قِبَل مصر على أحسن وجه، أن يكون ذلك بإعلانها رسميًا كمحمية بريطانية، وأن يكون حكم مثل هذه الدولة تحت الحماية، بأميرٍ من العائلة الخديوية.

في هذه الأحوال، فأنا مكلَّف من حكومة صاحب الجلالة أن أخبر سموكم بأنه بسبب سِنكم وخبرتكم تم اختياركم – وكأمير من أسرة محمد علي - كخير من يستحق أن يشغل منصب الخديوية بلقب سلطان مصر. وبدعوة سموكم لقبول مسئولية منصبكم العالي، فإنَّ عليَّ أَنْ أقدم لكم التأكيد الرسمي بأن بريطانيا العظمى تتقبل كافة المسئولية للدفاع عن الأراضي التي تحت سموكم ضد أي عدوان من أي جهة كانت.

وحكومة صاحب الجلالة قد فوضتني بأن أعلن بأنه بعد إنشاء المحمية البريطانية وإتمام نشر ذلك فإن كافة المصريين أينما كانوا سوف يكون من حقهم الحصول على الحماية من حكومة صاحب الجلالة.

ستختفي مع اختفاء السيادة العثمانية كافة الأحكام والقيود الموضوعة بواسطة فرمانات عثمانية على أعضاء وتنظيمات سموكم العسكرية، وعلى منح سموكم الامتيازات الشرفية بالنسبة للعلاقات الأجنبية؛ فحكومة صاحب الجلالة تجد أنه من الملائم تمامًا، وتمشيًا

مع المسئوليات الجديدة التي تتولاها بريطانيا العظمى أن تكون العلاقات بين حكومة سموكم وممثلي القوة الأجنبية مدارة عن طريق ممثل صاحب الجلالة في القاهرة.

وحكومة صاحب الجلالة قد أكدت في العديد من المرات أن نظام المعاهدات المعروفة بالامتيازات الأجنبية التي ترتبط بها حكومة سموكم، لا تتمشى مع تقدم البلاد، ولكن في رأي حكومة صاحب الجلالة أن مراجعة هذه المعاهدات، من الأسلم تمامًا تأجيله حتى نهاية الحرب الحالية.

وفي حقل الإدارة الداخلية؛ فإنَّ عليَّ أنْ أُذكركم يا صاحب السمو، بأنَّه تمشيًّا مع السياسة البريطانية، فقد كان هدف حكومة صاحب الجلالة هو العمل مع وخلال تناغم مع الهيئات المصرية الرسمية، لتأكيد الحرية الفردية، وتطوير ونشر التعليم، وزيادة الموارد الطبيعية للبلد، وبالدرجة الممكنة من تنوير الرأي العام، ومشاركة المحكومين في المهام الحكومية.

وليس هذا هو فقط ما تنويه حكومة صاحب الجلالة، لكنهم أيضًا على قناعة بأن التحديد الواضح لوضع بريطانيا العظمى في البلاد سوف يعجل التقدم نحو الحكم الذاتي.

القناعات الدينية للأفراد المصريين، سوف تُحترم بكل دقة كما تحترم حقوق رعايا صاحب الجلالة أيًا كان دينهم. ولست في

حاجة إلى أن أؤكد لسموكم أن إعلان مصر متحررة من واجب إطاعة هؤلاء المغتصبين للقوة السياسية، من الأهمية بمكان. وحكومة صاحب الجلالة ليس لديها أية نوايا سيئة ضد الخلافة. والتاريخ المصري يبين بلا شك، أن ولاء المصريين المحمديين للخلافة، مستقل عن أي اعتبارات وارتباطات سياسية بين مصر والقسطنطينية.

إن تقوية وتقدم المؤسسات المحمدية في مصر، هو بطبيعة الحال مسألة تتناولها حكومة صاحب الجلالة باهتمام عميق، والتي ستكون يا صاحب السمو، ذات اهتمام خاص لك. واتخاذ مثل هذه الإصلاحات قد تعتبر ضرورية، وعلى سموكم الاعتماد على تأييد وعطف حكومة صاحب الجلالة.

عليَّ أن أضيف أن حكومة صاحب الجلالة تعتمد بثقة على ولاء وحسن التفهم، والتحكم النفسي للرعايا المصريين، لتسهيل مهمة القائد العام لقوات صاحب الجلالة، الذي تم تكليفه بالمحافظة على النظام الداخلي ومنع القيام بمساعدة العدو.

أنتهز هذه المناسبة لأتقدم لسموكم مؤكدًا عالي احترامي

الإمضاء

القاهرة ١٩ ديسمبر ١٩١٤ — **Milne Cheetham**

المرفق رقم (٣)

جدول الخطابات المنشورة بالكتاب

الخطاب	التاريخ ١٧٨٩م	الراسل	المرسل إليه	ملاحظات
١	١٨ ميسادور = ٦ يوليه	لويس بونابارت	جوزيف بونابارت	من الإسكندرية
٢	٢٠ ميسادور = ٨ يوليه	جوبير	أخوه جوبير	أبو قير «الأوريانت»
٣	٢١ ميسادور = ٩ يوليه	جوبير	الوزير الجنرال BRUIX	أبو قير
٤	٢١ ميسادور = ٩ يوليه	الأدميرال BRUEYS	الوزير الجنرال BRUIX	من على «الأوريانت»
٥	٦ ثرميدور = ٢٤ يوليه	رئيس قطاع البحرية	الأدميرال BRUEYS	الجيزة
٦	٧ ثرميدور = ٢٥ يوليه	كوليبر	صديقه COLLASSE	....

الخطاب	التاريخ ١٧٨٩م	الراسل	المرسل إليه	ملاحظات
٧	٨ ثرميدور = ٢٧ يوليه	إمضاء حرف D	الجنرال BOURNONVILLE	من القاهرة الكبرى
٨	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	نابليون بونابارت	الأدميرال BRUEYS	القيادة العامة بالقاهرة
٩	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	نابليون بونابارت	الجنرال كليبر	القيادة العامة
١٠	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	نابليون بونابارت	الجنرال كليبر	القيادة العامة
١١	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	جنرال داماس	الجنرال كليبر	بولاق
١٢	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	سفاري SAVARY	دوزيلو DOUZELOT	القاهرة الكبرى
١٣	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	الجنرال رمبون RAMPON	إلى أخيه	القيادة العامة
١٤	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	سكرتير نابليون BOURSIENNE	لويس بونابارت	القيادة العليا الجيزة

الخطاب	التاريخ	الراسل	المرسل إليه	ملاحظات
١٥	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	الكابتن GUILLOT	إلى والدته	القيادة العامة
١٦	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	الطبيب R. DESGENETTES	إلى زوجته	....
١٧	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	غير معروف	إلى زوجته	من رشيد بمصر
١٨	٩ ثرميدور = ٢٧ يوليه	القنصل الفرنسي في حلب	وزير العلاقات الخارجية	من حلب
١٩	١٠ ثرميدور =٢٨ يوليه	مساعد أدميرال EMANUEL PERREE	الكابتن LE JOLLE قائد السفينة GENEREUX	القاهرة الكبرى

الخطاب	التاريخ	الراسل	المرسل إليه	ملاحظات
٢٠	١٠ ترميدور =٢٨ يوليه	ياور بونابارت LE TURCQ	إلى والده	القيادة العامة
٢١	١٠ ترميدور =٢٨ يوليه	مساعد جنرال BOYER	إلى القائد العام لجيش إنجلترا	القاهرة الكبرى
٢٢	١٠ ترميدور =٢٨ يوليه	مساعد جنرال BOYER	إلى والديه	القاهرة الكبرى
٢٣	١١ ترميدور =٢٩ يوليه	الجنرال DUPUIS حاكم القاهرة	إلى صديقه CARLO	حاكم القاهرة
٢٤	١١ ترميدور =٢٩ يوليه	كوميسار البحرية LE ROY	الأدميرال BRUEYS	من الإسكندرية
٢٥	١٤ ترميدور١ أغسطس	كوميسار الجيش DU VAL	مدير المستشفيات TRIPIER	من رشيد
٢٦	١٧ ترميدور ٤أغسطس	TALLIES	زوجته	من رشيد

الخطاب	التاريخ	الراسل	المرسل إليه	ملاحظات
٢٧	١٧ ثرميدور ٤أغسطس	TALLIES	عضو الديكتوار BARRAS	من رشيد
٢٨	١٧ ثرميدور ٤أغسطس	الياور LE ROY كوميسار البحرية	الجنرال كليبر	رشيد القيادة العامة
٢٩	١٧ثرميدور ٤ أغسطس	الجنرال مينو MENOU	الجنرال كليبر	من رشيد
٣٠	١٧ثرميدور ٤ أغسطس	المشرف المالي E. POUSSIELGUE	زوجته	من رشيد مصر
٣١	٥ فروكتدور =٢٢ يوليه	مساعد أدميرال GANTEAUME	وزير البحرية BRUIX	من الإسكندرية
٣٢	١١ثرميدور= ١ أغسطس	ملخص لمعركة أبو قير؛ كتبه GANTEAUME	....	

المرفق رقم (٤)

نبذة عن عائلة بونابارت

والده	- والده: شارل جوزيف بونابارت: Charles Joseph Bonapartce درس القانون في بيزا Pisa. وقف إلى جانب قائد حرب استقلال كورسيكا باولي Paoli، وعندما فر الأخير ورفاقه إلى روما اهتم الفرنسيون بنبلاء كورسيكا الذين كان شارل أحدهم (كان ينادَى بالكونت بونابارت) وعُين مشرفًا على المحاكم في كوركسيكا وكان اهتمام الفرنسيين به أحد أسباب قبول ابنه نابليون بالكلية الحربية الملكية.
والدته	والدته: ليتزا ريمولينو Leïza Remolino، تزوجت شارل جوزيف بونابارت في ٢ يونيه ١٧٦٤ وكان عمرها ١٦ سنة. والدها المفتش العام، وهي من سلالة الكونت دي كولا آتو Comtes De Coll'ato، أنجبت ٥ ذكور و٣ بنات، ترتيبهم حسب ميلادهم كما يلي:
أخوه	جوزيف بونابارت

- عرض عليه ملك أسبانيا السابق في أمريكا الجنوبية عرش المكسيك. ويرى نابليون أنه رفض العرض لحبه للملذات وعدم تقبله للمسئولية.

- عيَّنه نابليون عام ١٨٠٦ ملكًا على نابولي.

- تم تتويجه ملكًا لأسبانيا عام ١٨٠٨. وعندما هاجمها أعداء نابليون فر من مدريد.

- عندما هاجم أعداء نابليون باريس هرب مع الإمبراطورة ماري لويس رغم أن نابليون كان قد تركه ممثلاً له في باريس.

- هاجر إلى أمريكا ١٨١٥، ثم عاد إلى فرنسا عام ١٨٤١ وتُوفي فيها عام ١٨٤٤.

- عارض زواج نابليون من جوزيفين.

نابليون

- تم تعيينه جنرال وسنه ٢٦ سنة.

- قاد الحملة على مصر وعمره ٢٩ سنة.

- قام بانقلاب وتولى حكم فرنسا وعمره ٣٢ سنة.

- إمبراطور لفرنسا وعمره ٣٦ سنة.

- زعيم لكل أوربا وعمره ٤٠ سنة.

- سجن في سانت هيلانة وعمره ٤٦ سنة..

أخوه	لوسيان بونابارت
	- عضو بمجلس الخمسمائة ثم رئيسًا للمجلس.
	- لعب دورًا بونابارتيًا في استيلاء أخيه نابليون على السلطة.
	- تولى منصبَ وزير الداخلية أثناء فترة حكم القناصل.
	- قام بمواجهة حاسمة لمحاولة الانقلاب على نابليون في باريس وضواحيها.
	- اختلف مع نابليون ولجأ إلى إيطاليا. حيث قَبض عليه الإنجليز وسجنوه لفترة عام ١٨١٠.
	- شغل لفترةٍ منصب أمير كانينو Canino.
	- هاجر مثل أخيه جوزيف إلى أمريكا.
أخته الكبرى	إليسا بونابارت Elisa Bonapart
	- تقلدت عدة مناصب هامة كأميرة لوسكية Lucques وأميرة لإمارة بومبينو Pompino.
	- شغلت كذلك منصب دوقة توسكاني Toscane.
أخته	بولين Pauline
	عُينت دوقة جوستالا Guestalla، ثم أميرة على Borghese، وطلب منها نابليون التوسط له لدى

الإنجليز ولم تأبه به وتركته في جزيرة ألبا يعاني.

أخته كارولين Caroline

- تزوجت ملك نابولي Joachin Murat.

أخوه جيرومي Jerome

-عينه نابليون ملكًا على وستفاليا.

- أصدر أوامر ادعى أنها من الإمبراطور نابليون مما أغضب الأخير لتعارضها مع خططه، هاجر إلى أمريكا مقتفيًا آثار أخويه جوزيف ولوسيان.

أخوه لويس بونابارت

- عيَّنه نابليون ملكًا على هولندا.

- ابنه هو شارل لويس. المعروف بنابليون الثالث إمبراطور فرنسا ١٨٥٢-١٨٧٠.

ونابليون الثالث صديق الخديوي إسماعيل، وزوج أوجيني.

المرفق رقم (٥)

التقويم الذي وضعته الثورة الفرنسية

الفصول	مدتها	أسمائها
الخريف	٢٢ سبتمبر - ٢١ أكتوبر	فدمير VEDEMIAIR
	٢٢ أكتوبر - ٢٠ نوفمبر	بروميير Brumaire
	٢١ نوفمبر - ٢٠ ديسمبر	فريمير Frimaire
الشتاء	٢١ ديسمبر - ١٩ يناير	نيفوس Nivose
	٢٠ يناير - ١٨ فبراير	بلوفيوس Pluviose
	١٩ فبراير - ٢٠ مارس	فنتوس Ventose
الربيع	٢١ مارس - ١٩ أبريل	جرمينال Germinal
	٢٠ أبريل - ١٩ مايو	فلوريال Florèal
	٢٠ مايو - ١٨ يونيه	براريال Prairial
الصيف	١٩ يونيه - ١٨ يوليه	مسيدور Messidor
	١٩ يوليه - ١٧ أغسطس	ترميدور Thermidor
	١٨أغسطس - ١٦ سبتمبر	فروسيدور Frucidor

وبذلك فالشهر ٣٠ يومًا وينقسم إلى ٣ Decades (٣ عشريات):

يتبقى خمسة أيام أخرى – وستة أيام في السنة الكبيسة.

وهي ١٧–١٨–١٩–٢٠–٢١ سبتمبر في السنوات العادية.

و١٨–١٩–٢٠–٢١–٢٢ سبتمبر في السنوات الكبيسة.

ويضاف للسنة العيد القومي ٢٢ أو ٢٣ حسب نوع السنة.

وقد استمر العمل بهذا التقويم في فرنسا من أواخر ١٧٩٣ حتى عام ١٨٠٥ أي حوالي ١٣ سنة، ثم أعيد التقويم لمدة ١٨ يومًا عام ١٨٧١، ثم تم إلغاؤه تمامًا.

المرفق رقم (٦)

إعلان بونابرت لدى نزوله بالأراضي المصرية

باسم الله الرحمن الرحيم – لا إله إلا الله – لا ابن ولا شريك له في ملكه.

اللحظة الحالية التي قُدِّر فيها عقاب البكوات قد طال انتظارها باشتياق.

هؤلاء البكوات القادمون من جبال جورجيا Gorgia وأيضًا بيارس Bajars قد أفقروا هذا البلد الجميل لمدة طويلة. كما أنهم عاملوا الأمة الفرنسية بصلف وازدراء، وظلموا تجارها بالعديد من الوسائل.

بونابارت، جنرال الجمهورية الفرنسية، وطبقًا لمبادئ الحرية قد وصل الآن. وسبحان القدير رب العالمين، قد أمن على خراب البكوات.

يا سكان مصر، عندما يقول لكم البكوات إن الفرنسيين قد جاءوا لهدم وتدمير دينكم، فهذا كذب وافتراء. رُدُّوا على هؤلاء المنافقين المخادعين بأنهم ما جاءوا إلا لإنقاذ وتخليص حقوق الفقراء من أيدي طغاتهم.

إن الفرنسيين يعبدونه سبحانه وتعالى، ويبجلون الرسول وقرآنه المقدس، كل الناس متساوون في نظر الله. الفهم والإدراك السليم، المهارة والإبداع، والعلوم المختلفة، هي فقط التي توجد الفروق بين الناس. والبكوات لا يمتلكون أيًا من هذه الصفات، فلا يحق لهم حكم هذا البلد، ومع ذلك أليسوا هم وحدهم الذين يمتلكون أوسع الضياع، وأجمل النساء من الجواري، وخير الجياد وأحسنها، وأفخم القصور؟!

هل تم منحهم ميزات قصرها سبحانه وتعالى عليهم؟ إذا صح ذلك فليقدموا الدليل عليه.

الله سبحانه وتعالى الرحيم والعادل لكل البشر أراد أن لا يحرم في المستقبل أيًا من سكان مصر من الوصول إلى أعلى الوظائف وأسمى المراتب.

إن الإدارة التي سيقودها أفراد يتميزون بالذكاء والنبوغ والبصيرة سوف ينتج عنها السعادة والأمن.

لقد أدى طغيانُ وطمعُ المماليك إلى خراب مصر، والتي كانت قبل ذلك عامرة وجيدة المزارع.

الفرنسيون مسلمون حقيقيون، ولم يمضِ وقتٌ طويل على زحفهم على روما وقهر عرش البابا الذي كان يثير المسيحيين ضد معتنقي الإسلام. وتوجهوا بعد ذلك شطر مالطة وطردوا الكفار الذين تصوروا أن الله عيَّنهم لمحاربة المسلمين.

الفرنسيون كانوا دائمًا الأصدقاء الحقيقيين والمخلصين للسلاطين العثمانيين أعداء لأعدائهم. فلتدم إمبراطورية السلطان إلى الأبد.

أما البكوات المعادون لنا، والذين أدى طمعهم وجشعهم إلى استمرار العصيان والتمرد، فسوف يداسون في التراب ويبادون.

إن صداقتنا سوف نمدها إلى سكان مصر ممن سينضمون إلينا، وأيضًا إلى أولئك الذين سيلتزمون ديارهم ويلتزمون الحيدة التامة. عندما يلاحظون تصرفاتنا بأعينهم سيسارعون بالإذعان لنا. ولكن عقوبة الموت الرهيبة سوف يلقاها الذين سيحملون السلاح تأييدًا للبكوات وضدنا. وحين ذلك لن يكون هناك خلاص أو نجاة أو الإبقاء على أثر لهم.

مادة أولى:

في أي من الأماكن التي تقع على بعد ثلاثة فراسخ في طريق الجيش الفرنسي. على الأهالي أن يقوموا بإرسال واحد من علية القوم لديهم إلى الجنرال الفرنسي، لكي يعلن له أنهم يستسلمون، وسيرفعون العلم الفرنسي الأزرق والأبيض والأحمر.

مادة ثانية:

أي قرية تقاوم أو تناوئ الجيش الفرنسي سوف تباد حرقًا.

مادة ثالثة:

أي قرية تخضع للفرنسيين سوف ترفع علمهم، وأيضًا علم الباب العالي حليفهم دام بقائه.

مادة رابعة:

مشايخ وأعيان أي مدينة أو قرية، سوف يقومون بالتحرز على منازل وممتلكات البكوات والتأكد من أن أصغر الأشياء لا تفقد.

مادة خامسة:

المشايخ والقضاة والأئمة سيستمرون في أداء مهام وظائفهم وإقامة الصلوات، والقيام بالطقوس الدينية في الجوامع ودور العبادة.

كل سكان مصر سوف يشكرون الله ويقيمون الصلوات والدعاء بخراب البكوات أدام الله عظمة السلطان العثماني، وسكب غضبه على المماليك، وجعل قَدر الأمة المصرية جليلاً مجيدًا.

المرفق رقم (٧)

المرسوم الذي أصدرته الدركتوار (حكومة الثورة) بتعليماتها إلى نابليون بونابارت للقيام بالحملة على مصر

بتاريخ ١٢ أبريل ١٧٩٨

قرار إداري:

نظرًا لأن البكوات الذين استولوا على الحكم في مصر قد أقاموا علاقات حميمة مع الإنجليز، ووضعوا أنفسهم تحت الخضوع التام لهم، والذي نتج عنه ممارساتهم الواضحة العدوانية ونواياهم الفظيعة ضد الفرنسيين، يضايقونهم وينهبونهم ويقتلونهم كل يوم.

ونظرًا لأنه من واجباتها ملاحقة أعداء الجمهورية أينما وُجدوا وفي أي مكان يرتكبون فيه هذه الأعمال.

ونظرًا – إضافةً إلى ذلك – إلى الخيانة الشهيرة التي مكّنت بريطانيا من التحكم في رأس الرجاء الصالح، مما جعل السبيل إلى الهند بالطريق المعتاد صعبًا جدًا لمراكب الجمهورية. لذلك فإنه من الهام فتح طريق آخر لقوات الجمهورية لمواجهة المستوطنات الحكومية الإنجليزية وتجفيف منابع غناها المفسد.

تقرر ما يلي:

مادة أولى: القائد العام لجيش الشرق سوف يوجه قوات البر والبحر التي تحت قيادته إلى مصر ويستولي عليها.

مادة ثانية: سوف يطرد الإنجليز من كافة ممتلكاتهم في الشرق التي يستطيع الوصول إليها ويهدم بشكل خاص مصانعهم ومراكزهم التجارية على البخر الأحمر.

مادة ثالثة: سوف يفتح برزخ السويس، ويتخذ كافة الإجراءات اللازمة ليؤكد للجمهورية الفرنسية السيطرة الوحيدة على البحر الأحمر.

مادة رابعة: سوف يُحسِّن بكافة الوسائل التي يملكها أحوال المواطنين المصريين.

مادة خامسة: سوف يحافظ - وهذا يتوقف عليه - على علاقات تفاهم طيبة مع الباب العالي ورعاياه المباشرين.

مادة سادسة: هذا المرسوم لن تتم طباعته.

[نقلاً عن مذكرات نابليون الأول [بونابرت] الجزء الرابع صفحات ٥٢، ٥٣].

المرفق رقم (٨)

الملاحق العشرة في نهاية الكتاب

هذه الملاحق جاءت في نهاية الكتاب وهي ترجمة بالإنجليزية دون نشر أصولها الفرنسية:

الملحق الأول: ترجمة بالإنجليزية لإعلان بونابارت للشعب المصري، أعلنه من على سطح الأوريان، ويذكر الكتاب أنه ترجمة عن النسخة العربية. وسبق وتناولنا هذا البيان على حده.

الملحق الثاني: في ٢٢ يونيو: إعلان بونابارت للجنود الفرنسيين وهو فوق «الأوريان».

الملحق الثالث: في ٢٤ يونيو: أوامر عامة أصدرها بونابارت للجنرالات الفرنسيين وهو فوق «الأوريان».

الملحق الرابع: في ٢٨ يونيو: أوامر لقائد الأسطول الفرنسي وتعليمات بحرية.

الملحق الخامس: أوامر أصدرها بونابارت من القيادة العامة أثناء وجوده في مالطة ونلاحظ أهميتها لموقفه من روسيا.

الملحق السادس: أوامر لبونابارت تنظيمية للمواصلات البحرية.

الملحق السابع: ترجمة إنجليزية لإعلان بونابارت للشعب المصري

عن أصلٍ فرنسي غير منشور لا داعي لتكراره.

الملحق الثامن: إعلان أصدره بونابارت لسكان الإسكندرية [٣ يوليو].

الملحق التاسع: رسالة من Berthier إلى قائد الأسطول الفرنسي الأدميرال Brueys، وهي خاصة بترحيل عدد من المماليك المسجونين إلى فرنسا.

الملحق العاشر: خطاب وجهه بونابارت في أول يوليو إلى قائد الأسطول العثماني في الإسكندرية.

الملحق الثاني من المرفق (٨)

إعلان نابليون عضو المعهد الوطني والقائد الأعلى من فوق السفينة «لوريان»

بتاريخ ٢٢ يونيه

أيها الجنود:

إنكم سوف تقومون بانتصارٍ آثارُه على التجارة والحضارة لا تحصى ولا تُعد. ستعطون الإنجليز ضربة سريعة التأثير والتي سيتبعها خرابهم وهلاكهم.

سوف نخوض مسيرات عسكرية متعبة، سوف نحارب عدة معارك – سوف ننجح في كافة مساعينا ومقاصدنا. إن المقادير في مصلحتنا.

البكوات المماليك الذين يفضلون الاتجار مع الإنجليز بشكل مطلق، والذين يستبدون ويطغون على السكان التعساء على ضفاف النيل لن يكون لهم وجود بعد عدة أيام من وصولنا.

إن الشعب الذي سوف تعيشون معه محمديّون، وأول مبدأ في إيمانهم هو «لا إله إلا الله محمد رسول الله». لا تعارضوهم، وتعَاملوا معهم كما عاملتم اليهود والإيطاليين. عاملوا رجال الفتوى والأئمة باحترام كما عاملتهم الربابنة والقساوسة.

يجب أن تتحلوا بروح السماحة وتقبُّل الطقوس التي فرضها القرآن كما فعلتم مع السيناجوجات اليهودية والكنائس المسيحية لديانات موسى والمسيح.

إن القوات الرومانية حمت كافة الأديان.

سوف تجدون هنا عادات وتقاليد تختلف عن تلك التي في أوربا، يجب أن تعوِّدوا أنفسكم عليها.

الأفراد الذين سنكون معهم يختلفون عنا في معاملة النساء. ولكن في كل البلاد من يخالفها فهو وحش كاسر.

إن النهب يغني القليل من الرجال ولكنه يشيننا ويقضي على هيبتنا ويجعل من هؤلاء القوم أعداء لنا، والذي من صالحنا أن يكونوا أصدقاء لنا.

إن أول المدن التي سنصل إليها بناها الإسكندر. وفي كل خطوة سنخطوها سوف نقابل أمورًا قابلة للتقليد والمحاكاة المثيرة.

إمضاء

بونابارت

الملحق الثالث من المرفق (٨)

أوامر عامة

بونابارت؛ عضو المعهد الوطني، القائد العام

مركز القيادة من على سطح «الأوريان» ٢٤ يونيه ١٧٩٨.

المادة ١: الجنرالات الذين سيقودون أي وحدات منفصلة سوف يأمرون إدارات التعيينات الحربية، وصرّاف الوحدة، وضباط أركان الحرب، وشيخ من البلد إغلاق بأختام على الكنوز الوطنية وعلى دور وسجلات محصلي ريع المماليك.

المادة ٢: كافة المماليك يتم القبض عليهم ويتم إحضارهم لمقر قيادة الجيش.

المادة ٣: كافة المدن والقرى يتم نزع سلاحها.

المادة ٤: كافة الجياد يتم الاستيلاء عليها، ويتم تسليمها لرئيس فيلق الفرسان والذي عليه توزيعها على الجنود. ولهذا الغرض فهم يحملون معهم الألجمة والسروج. والضباط من أي رتبة ممنوعون من أخذ أي جواد إلى أن يركب جميع الفرسان. والرجال ممنوع عليهم تغيير الجياد.

المادة ٥: كافة الجياد الصالحة للمدفعية سوف تسلم إلى قائد مدفعية كل مجموعة.

المادة ٦: الجمال سوف يتم استئجارها ووضعها تحت أمر قائد المدفعية. وتلك التي ستأخذ من المماليك أو تأخذ من العدو ستستخدم في نقل المدفعية والذخائر بغرض أن نقلل بقدر الإمكان عدد عربات الذخيرة. وسوف يخصص جمل واحد لكل وحدة تحت تصرف ضابط الهندسة لحمل معدات الرواد.

المادة ٧: كل فيلق سوف يكون لديه جملان لحمل الأمتعة، ورئيس الفيلق ومسئول الخدمات سوف يكون لهما جمل لحمل صندوق الجيش وسجلات القوات، ولكن لا يحصلون على الجمال حتى يتم تسليم مؤن المدفعية.

المادة ٨: رؤساء المدفعية ورؤساء الفرسان سوف يقدمون إيصالات لإدارة التعيينات الحربية عن الجمال والخيول وغيرها التي يتسلمونها.

المادة ٩: إدارة التعيينات الحربية تقوم بإرسال بيان عن الجمال لرئيس القومسارية. رئيس وحدة الفرسان سوف يرسل بيانًا إلى الجنرال Dugua ومساعد الجنرال إلى أركان الحرب.

المادة ١٠: الخيل والجمال التي يستولى عليها بعد معركة أو قتل من كان يركبها – سوف يتم وضع ثمن لها حسب ما يناسبها، وهذا يعني ٤ قطع لويس ذهبية للفرس الواحد، وستة للجمل. مدير عام

الإمدادات وجنرال المدفعية سيقومون بـدفع ثمـن تلـك الـتي تـسلم للسرية الخاصة بهم.

المادة ١١: عند ركـوب جميـع الفرسـان ترسـل بـاقي الخيـل إلى الجنرال Dugua، والجمال لساحة المدفعية.

الملحق الرابع من المرفق (٨)

القيادة العامة على سطح «لوريون» ٢٨ يونيه ١٧٩٨

بونابارت عضو المعهد الوطني والقائد العام

أوامر:

المادة ١: على الأدميرال حراسة سواحل وموانى الدول التي يحتلها الجيش. وكافة القواعد والأوامر التي يصدرها يتم تنفيذها.

المادة ٢: مينائي مالطة والإسكندرية سوف يتم ترتيبهما طبقًا لقواعد يضعها الأدميرال، وكذلك أيضًا بالنسبة لكارفور ودمياط.

المادة ٣: المواطن LE ROY سيتولى مهمة قوميسارية الإسكندرية والمواطن Vavasseur مهمة الإشراف على المدفعية.

المادة ٤: موظفو إدارة الموانئ والطرق في البلاد التي يحتلها الجيش سوف ينسقون مع القوميسار LE ROY والذي سيتلقون فورًا منه أوامرهم.

المادة ٥: المستودعات البحرية التي سيعثر عليها في البلاد المحتلة يتم تأمينها في مخازن في مختلف الموانى.

المادة ٦: كافة الجنود الذين يقل سنهم عن ٣٠ سنة يتم استدعاؤهم للأسطول.

إمضاء

بونابارت

الملحق الخامس من المرفق (٨)

الحرية – المساواة

جيش إنجلترا

القيادة العامة في مالطة

– ٢٥ برايريال العام السادس من جمهورية فرنسا

[١٣ يونيه ١٧٩٨]

أمر من القائد العام

مادة ١: لا يقوم أي قسيس لاتيني بقيادة أي كنيسة مخصصة لليونانيين.

مادة ٢: القدّاس الذي اعتاد القساوسة اللاتينيون تقديمه في الكنائس اليونانية سوف يؤدَّى في باقي الكنائس.

مادة ٣: سوف تُمنح ضمانات لحماية اليهود الذين يرغبون في بناء سناجوجاتهم.

مادة ٤: القائد العام يشكر اليونانيين لحسن تصرفهم الذين تمسكوا به أثناء الحصار.

مادة ٥: كافة اليونانيين من جزيرة مالطة و Gozo، وهؤلاء أيضًا

من قطاع Thaca وكـذلك Corcyr وبحـر Egean الـذين يقيمـون أيـة علاقات بأي شكل مع روسيا سوف يحكم عليهم بالإعدام.

مادة ٦ : كافة السفن اليونانية الـتي تحمـل العلـم الروسـي إذا تم القبض عليها بالبحرية الفرنسية سيتم إغراقها.

إمضاء

بونابارت

الملحق السادس من المرفق (٨).

القيادة العامة على سطح الأوريان

بونابارت عضو المعهد القومي والقائد العام

[٢٨ يونيه ١٧٩٨]

أوامر

الأمر رقم ١: من رقم (١) إلى رقم (٤) لم تترجم للإنجليزية بحجة أنها ترتيبات نقل غير هامة.

الأمر رقم ٥: كافة البحارة الفرنسيين على مركبات النقل يتم سحبهم للخدمة على الأسطول، والبحارة المصريون يتم تكليفهم بمهام النقل.

الأمر رقم ٦: كافة السفن التي ستعود لأوربا لا يتواجد عليها من الأفراد سوى من كان هناك حاجة قصوى لتواجده. ينطبق هذا على كافة الجنسيات أيًا كانت – الباقي يتم ضمهم للأسطول.

إمضاء

بونابارت

الملحق الثامن من المرفق (٨)

نسخة للمديرين التنفيذيين

القيادة العامة – الإسكندرية

بونابارت عضو المعهد الوطني والقائد العام

[٣ يوليو ١٧٩٨]

أوامر

الأمر ١: كافة سكان الإسكندرية – أيًا كانت جنسيتهم – سيجب عليهم خلال أربعة وعشرين ساعة من طباعة هذا الأمر أن يقوموا بتقديم كافة أسلحتهم في المكان الذي سيحدده حاكم البلد.

الأمر ٢: كافة سكان الإسكندرية – أيًا كانت جنسيتهم – سيجب عليهم ارتداء الشارة ذات الألوان الثلاثة .. المفتون فقط – سوف تكون لهم ميزة ارتداء الشال ذي الألوان الثلاثة.. ويحتفظ القائد العام لنفسه بحق منح نفس الميزة للشيوخ الذين يتميزون بالمعرفة والحكمة والفضيلة.

الأمر ٣: كافة القوات سوف تمنح الشرف العسكري لأي فرد – طبقًا للأمر السابق – يزور قائدًا عالي الرتبة أو أيًا من إدارات الجيش، وسوف يقابلون بالاحترام الذي هم جديرون به.

الأمر ٤: العملاء الأجانب – بغض النظر عن القوى التي يتبعونها – ممنوعون من رفع أعلامهم على شرفات مبانيهم. القناصل فقط لهم حق كتابة على منازلهم نوع من يوظفهم «قنصل كذا...».

الأمر ٥: هذه الأوامر واجبة الترجمة إلى العربية بدون أي تأخير وتوزيعها على أبرز وأهم السكان، كل شريف سوف يعلنه في قريته حتى يلتزم به الكافة.

إمضاء

بونابارت

الملحق التاسع من المرفق (٨)

جيش إنجلتره القيادة العامة

إلى الأدميرال Brueys

[٢٧ يوليو ١٧٩٨]

أرسل إليك أيها المواطن الأدميرال عددًا من المماليك السجناء والمرفقة أسماؤهم. عليك استقبالهم على إحدى سفن الأسطول وإرسالهم لفرنسا في أقرب وقت.

إمضاء

Alex Berthier

المملوك حسين	المملوك إبراهيم
المملوك هالي	المملوك مراد
المملوك مراد	المملوك سليمان
المملوك يوسف	المملوك هالي
المملوك أحمد	المملوك محمد
المملوك هالي	المملوك شاهين

الملحق التاسع من المرفق (٨)

من فوق سطح «لوريان»
بونابارته عضو المعهد الوطني والقائد العام
إلى قائد الأسطول التركي بالإسكندرية

[أول يوليو ١٧٩٨]

لقد قام البكوات بتحميل تجارتنا بالمصاعب. وأنا قادم لطلب التعويض، سوف أكون في الإسكندرية باكر. ولكن هذا لا يدعو إلى قلقك.

أنت مواطن لصديق عظيم – السلطان – فتصرَّف على هذا الأساس.

ولكن إذا ارتكبتَ أبسط عدوانية ضد الجيش الفرنسي فسوف أعاملك كعدو. ولا تلومنَّ إلا نفسك. هذا الأمر بعيد عن نواياي أو قلبي.

بونابارت

المرفق رقم (٩)

سيرة محمد كُرَيِّم الاسكندري كما ذكرها الجبرتي

«كان في أول أمره قبَّانيًا يزن البضائع في حانوت بالثغر، وعنده خفة في الحركة وتودد في المعاشرة، فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن التودد، ويستجلب خواطر حواشي الدولة، وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى، ومَن له وجاهة وشهرة في أبناء جنسه، حتى أحبه الناس، واشتهر ذكره في ثغر الإسكندرية ورشيد ومصر، واتصل بصالح بيك حتى كان وكيلاً بدار السعادة، وله الكلمة النافذة في ثغر رشيد، وتملكها ونواحيها واسترق أهلها، وقلّد أمرها لعثمان خجا، فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور، واتصل بمراد بك بعد صالح أغا، فتقرَّب إليه ووافق منه الغرض، ورفع شأنه على أقرانه، وقلَّده أمر الديوان والجمارك بالثغر، ونفذت كلمته وأحكامه، وتصدَّر لغالب الأمور، وزاد في المكوسات والجمارك ومصادرات التجار خصوصًا من الإفرنج، ووقع بينه وبين السيد شهبة الحادثة التي أوجبت له الاختفاء بالصهاريج وموته فيه، فلما حضر الفرنسيس، ونزلوا الإسكندرية قبضوا على السيد محمد المذكور، وطالبوه بالمال، وضيَّقوا عليه وحبسوه في مركب، ولما حضروا إلى مصر وطلعوا قصر مراد بيك، وفيها مطالعته بأخبارهم وبالبحث والاجتهاد على حربهم وتهوين أمرهم وتنقيصهم، فاشتد غيظهم

عليه، فأرسلوا وأحضروه إلى مصر وحبسوه، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرات، فلم يُمَكَّن، إلى أن كانت ليلة الخميس، فحضر إليه مجلون وقال له: «المطلوب منه كذا وكذا وكذا من المال» وذكر له قدرًا يعجز عنه، وأجَّله اثنتي عشرة ساعة، وإن لم يُحضر ذلك القدر وإلا يُقتل بعد مضيها، ولما أصبح أرسل إلى المشايخ، وإلى السيد أحمد المحروقي، فحضر إليه بعضهم، فترجَّاهم وتداخل عليهم واستغاث وصار يقول لهم: «اشتروني يا مسلمون»، وليس بيدهم ما يفتدونه به، وكل إنسان مشغول بنفسه ومتوقع لشيء يصيبه، وذلك في مبادئ أمرهم، فلما كان قرب الظهر، وقد انقضى الأجل، أركبوه حمارًا، واحتاط به عدة من العسكر، وبأيديهم السيوف المسلولة، ويقدُمهم طبلٌ يضربون عليه، وشقوا به الصليبة إلى أن ذهبوا إلى الرميلة، وكتفوه وربطوه مشبوحًا، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه، ثم قصموا رأسه ورفعوها على نبوت وطافوا بها بجهات الرميلة، والمنادي يقول: «هذا جزاء من يخالف الفرنسيس» ثم إن أتباعه أخذوا رأسه ودفنوها مع جثته، وانقضى أمره، وذلك يوم الخميس خامس عشر من ربيع الأول».

من كتاب «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»
تأليف عبد الرحمن ابن حسن الجبرتي
الجزء الخامس – الهيئة العامة للكتاب

المرفق رقم (١٠)

الجبرتي ومعركة أبي قير

«وفيه، تواترت الأخبار بحضور مراكب من الإنجليز إلى ثغر الإسكندرية، وأنهم حاربوا مراكب الفرنساوية الراسية بالميناء، وكانت أشيعت هذه الأخبار من قبل، وتحدَّث الناس بها، فصعب ذلك على الفرنساوية.

واتفق أن بعض النصارى الشوام نقل عن رجل شريف يسمى السيد أحمد الزرو، من أعيان التجار بوكالة الصابون أنه تحدث بذلك، فأمروا بإحضاره، وذكروا له ذلك، فقال: «أنا حكيت ما سمعته من فلان النصراني»، فأحضروه أيضًا، وأمروا بقطع لسانيهما، أو دفع كل واحد منهما مائة ريال فرنسي نكالاً لهما، وزجرًا عن الفضول فيما لا يعنيهما، فتشفع المشايخ، فلم يقبلوا، فقال بعضهم: «أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدراهم» فلم يرضوا، فأرسل الشيخ مصطفى الصاوي وأحضر مائتي ريال ودفعها في الحاضرة، فلما قبضها الوكيل ردَّها ثانية إليه وقال: «فرِّقها على الفقراء»، فأظهر أنه فرَّقها كما أشار وردها إلى صاحبها، فانكف الناس عن التكلم في شأن ذلك.

والواقع أن الإنجليز حضروا في أثرهم إلى الثغر وحاربوا مراكبهم

فنالوا منهم، وأحرقوا القايق الكبير، المسمى بنصف الدنيا، وكان به أموالهم وذخائرهم، وكان مصفحًا بالنحاس الأصفر، واستمر الإنجليز بمراكبهم بميناء الإسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس. وفي ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم إلى بحَري وإلى الشرقية، ولما جرى الماء في الخليج منعوا دخول الماء بركة الأزبكية، وسدُّوا قنطرة الدكة بسبب وأتقمهم ومدافعهم وآلتهم التي فيها».

[من كتاب «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»؛ تأليف: عبدالرحمن بن حسن الجبرتي - الجزء الخامس، ص ٢٤، الهيئة العامة للكتاب].

مراجع عربية

١ - الحملة الفرنسية.. تنوير أم تزوير، أ.د ليلى عنان ١٩٥١ .

٢- الحملة الفرنسية في محكمة التاريخ، أ.د ليلى عنان ١٩٥١ .

٣- الحملة الفرنسية على مصر.. في ضوء مخطوط عثماني، مخطوطة «ضياء نامة»، بقلم: عزت حسن أفندي الدرندلي – دراسة وترجمة: أ.د جمال سعيد عبد الغني.

٤- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧ .

٥- رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية، أ. علي بركات ١٩٨٧ .

٦- مصر والحملة الفرنسية، أ. محمد سعيد العشماوي ١٩٩٩ .

٧- غارات أوربا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى، د. علية عبد السميع الجنزوري ١٩٨٧ .

٨- الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني، أ.صلاح هريدي ١٩٨٩ .

٩- التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر، أ. سامي سليمان محمد السهام.

١٠- الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، أ. علي السيد محمود ١٩٨٨ .

١١- تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر (جزء١)، أ. عبد الرحمن الرافعي ١٩٥٥.

١٢- تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، عمر الإسكندراني، الميجور أ.ج سفردج، ١٩١٨.

١٣- مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن ١٨، أ. إلهام محمد علي ذهني.

١٤- رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، تأليف: ريتشارد بيرتون، ترجمة: أ. عبد الرحمن الشيخ.

١٥- العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن ١٩، أ. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

١٦- مصر ولع فرنسي، تأليف: روبير سوليه، ترجمة: أ. لطيف فرج ١٩٩٩.

١٧- نابليون والإسلام – من الوثائق العربية والفرنسية، تأليف: كريستيان تشيفلر، تعريب: أ. زين نجاتي.

١٨- مصر في كتابات الرحالة البريطانيين في القرن التاسع عشر، أ. إلهام محمد ذهني ٢٠٠٣.

١٩- رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تأليف: جوزيف بتس، ترجمة أ. عبد الرحمن الشيخ.

٢٠- عصر محمد علي، أ. عبد الرحمن الرافعي ١٩٨٢.

٢١- تاريخ مصر السياسي، أ. محمد رفعت بك ١٩٤٧.

٢١- تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية ١٧٩٨ إلى ١٩٥٢م، أ. أمين سعيد.

٢٣- المآسي التاريخية الكبرى، أ. حسن الشريف.

٢٤- مصر في القرن الثامن عشر - الجزء الأول، أ. محمود الشرقاوي.

٢٥- اليهود في مصر المملوكية ١٢٥٠ - ١٥١٧، محاسن محمد الوقاد.

مراجع فرنسية

1- L' EGJPTE de 1798-1900.

2- L'EXPEDITION D'EGYPTE 1798-1801 C.DE LA JONQUIERE 1904, 2 vol.

3- La POLITIQUE ORIENTALE DE NAPOLEON, E. DRIAT 1904.

4- BONAPARTE, GOUVERNEUR D'EGYPTE F.CHARLES-ROUX 1916.

5- LES ORIGINES INTELLECTUELLES DE L'EXP'EDITION D'EGYPTE HENRY LAURENS 1987.

6- VOYAGEURS ET ECRIVAINS FRANCAIS EN EGYPTE JEAN-MARIE CARRE 1956.

7- BONAPARTE EN EGYPTE OU LE REVE INASSOUIS J.BENOIST-MEXHIX.

8- BONAPART EN EGYPTE ALBERT SOREL.

9- L'EGYPTE FRANCAISE AU JOUR LE JOUR 1798-1801 JEAN-JOEL BREGEON 1991.

10- M'EMOIRES POUR SERVIR A L'HISTOIRE DES EXPEDITIONS, J.MOIT 1814.

11- VOYAGE DANS LA BASSE ET LA HAUTE EGYPTE PENDANT LES CAMPAGNES DU G'EN'ERAL BONAPARTE. DOMINIQUE VIVANT DENON.

12- KLEBER EN EGYPTE 1798-1800, 2VOL HENRY LAURENS, LE CAIRE INSTITUT FRANCAIS D'ARCH'EOLOGIE ORIENT ALE 1988.

13- JOURNAL D'UN OFFICIER DE L'ARM'EE D'EGYPTE, M .VERTRAY 'EDIT: H.GALLI 1983.

14- LA BATAILLE DE ABOUKIR 1798, MICHELE BATTESTI 1998.

15- LE DIRECTOIRE ET L'EXPEDITION D'EGYPTE, A .BOULAY DE LA MEURTH 1921.

مراجع إنجليزية عن الحملة

1- Europe and the France Imperialism.; Geoffry Brumm.

2- Napoleon, Andre Castelot.

3- Napoleon's Satallite Kingdoms, O.Castelot.

4- A military History and Atlas of Napoleon's Wars, IV.Esposito and J.Elting.

5- Napoleon's Egypt invading the Middle East, Joan Cole.

6- The campaigns of Napoleon, David G. Chandler.

7- Guns in the desert: Journals of Napoleon's Egyptian expedition, Translated by Rosemary Brindel.

8- Nelson and the Nile: The naval war against Bonapart 1798, Brian Lavery.

9- The life of Nelson 1825, Robert Southey.

10- Letters written during a voyage to Egypt 1825-1829, Jean Francois Champollion.

11- Bonapart in Egypt, J.C.Harold.

مراجع إنجليزية عن مصر

1- Travel in Egypt, Nubia, the holly land, Henry light 1814.

2- Letter from the East, John Carne.

3- View of Egypt, Micheal Russell, 1831.

4- The English woman in Egyt, Sophia Pool, 1844.

5- Attractions of the Nile and its banks, A.C.Smith, 1868.

6- Under Egyptian palmes, Howard Hopley, 1869.

7- Letters from Egypt, Lucie Duff Virant, 1875.

8- One thousand miles up the Nile, Emelia Edwards, 1877.

9- Nile gleaming, Villeirs Stewart, 1879.

10- Five monthes in Cairo and lower Egypt, Gabriel Chornes, 1883.

11- Secret history of English occupation of Egypt, Wilfred Scawan Blunt, 1907.

12- Modern Egypt, The Earl of Cromer, 2 vols, 1908.

13- The waters of Egypt, Norman Lariner, 1909.

14- Queer things about Egypt, Norman loriner, 1909.

15- A wayfarer in Egypt, Dagles sladen, 1910.

16- Memoirs of Napoleon Bonapart by Bourrenne Project Gubnberg, produced by David Widgee.

17- The women of Egypt, Elisaleth Cooper, 1914.

18- Lotus and Pyramid, Constance Sitwell, 1927.

19- The mixed courts of Egypt, J.V. Brinton, 1930.

20- Egypt since Cromer, Lord Loyd, 2.vol, 1933-1934.

21- The Economic development of modern Egypt. A.E.Crauchley, 1938.

22- A memoir on the cotton of Egypt, C.R.Gilddon, 1941.

23- The awaking of modern Egypt, M.Rifaat, 1946.

24- Bureaucracy and society in modern Egypt, Morroe Berger, 1957.

25- Young Egypt, Desmond Stewart, 1958.

26- Women in 19th century Egypt, Jadith E.Tucker, 1965.

27- The role of the military in underdeveloped countries, John J.Jahnsan, 1962.

28- The Fellahin of upper Egypt, Winifred C.Blacman, 1968.

29- A view of the Nile, Elizabeth Warnock Fernea, 1970.

30- Spoiling the Egyptians, John Marlowe, 1975.

31- An Egyptian Journal, William Golding, 1985.

32- England and Egypt, Edward Dicey, 1986.

33- Military elites and social change in : Egypt since Napoleon Morroe Baer 1962.

34- A history of landownership in Egypt 1800-1950, Gabriel Baer.

35- Descrption of Egypt, Edward William Lane, Edited: Jason thompson.

36- Manners and customs of the modern Egyptians 1833-1835, Edited by O.T.Bellany, 1890.

37- Egypt for the Egyptian 1878, Alexander Scholch.

38- Culture shock-Egypt, Susan Wilson.

39- The leisure of an Egyptian official. lord Edward Civil.

مراجع مواقع كمبيوتر

(١) (معركة إمبابا) - Battel of the Pyramids-John Dellinger:

http 11 :historynet. com wars-conflicts/Napoleon-wars/3459076.html page=12c=y-

(٢) خطابات الحملة الفرنسية على مصر

http//:galenet.galegroup.com.prxsy.lia.umich.edu/servlet/e cco

- www.napoleonguide.com/compain Egypt.html

- www. historynet. com/ Napoleoh wars

- eh. Wikipedia. Org/ napoleon- wars



الأيام الأولى
للحملة الفرنسية على مصر
رسائل لقادتها
ترجمة وتعليق
السفير/يوسف شرارة
الرسائل الأصلية طبعها
J.Weight
Oldbind-1798-London-Piccadilley
مكتبة الآداب